المشرق

تدبير الصحة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي دمرجي

اعتاد الافرنج ان يضعوا لكل بلد قانوناً صحياً بالنسبة لموقعه وآثاره الجوية وطبيعة تربته وتربة جواره وعوائد الاهلين وطريقتهم في المعاش فيرتشد به السكان لحفظ صحتهم ورقيتها من الطوارئ الممكن اتقاؤها. ولا حاجة لاثبات منافع هذا القانون لانها اضحت مقررة بما نال من الفوائد الصحية كل من راعى هذه القوانين. وقد حدت الغيرة بالمرحوم الدكتور بريه الى وضع قانون صحي لبيروت غير انهُ توخى في مقالته الاشارة الى الاصلاحات الصحية من حيث الاشغال العمومية مما يُناط بالهيئة البلدية وعلى ظني ان الغرض المهم في مثل هذا الموضوع انما هو الافصاح في تدريب الافراد والعائلات عن الوسائل الصحية اللازم اتباعها بالنسبة الى الحالة الحاضرة بعد ايراد ما حسن منها واثبات ما ساء. وذلك الغرض الذي اقصد في هذه المجالة

موقع بيروت

لا مشاحة ان وضع بيروت من ابدع المواقع وقلما ذكر ارباب الرحل مدينة ساحلية فازت من امتيازات الطبيعة ما احرزتهُ بيروت من بحر معترض امامها في الجهة الشمالية فاشرفت عليهِ ومن سهول خصبة ومروج يانعة اكتنفتها من جهة الشرق ومن غابات صنوبر قائمة في جنوبها اشبه بتاج يكلل هامتها ومن ادعاص رمال متلبدة في غربيها

ومن عجيب خواصها انها مستندة من جهة الشرق والجنوب الى جبال تأتزر بالسحب وتتمنطق بالثلوج شتاء وصيفاً لا يفصلها عن حضيضها سوى حقول امتدت في طول ثمانية كيلومترات وعرض كيلومتر واحد او ثلاثة. ومن ورائها ارتفعت منافذ لبنان

مثل الحصون المشيَّدة كأني بالطبيعة اقامتها لتقي بيروت من صبارة الشتاء. فتحبس عنها الزمهرير وتدّخر الثلوج على قُنَنها حتى اذا تضرّمت هواجر الصيف اصبحت تلك الجبال ملجأ لسكّان بيروت فينتعشون ببرودها العليل ويتروّحون بتيّارها السلسبيل ناهيك عن بهجة مناظرها وكثرة مراقيها مما يوفّر اسباب الصحّة والهناء.

امّا مركز بيروت الجيوغرافي فهو في الدرجة ٣٣° والدقيقة ٣٣ والثانية ٥٠" طولًا في شرقيّ سنت باريس والدرجة ٣٣° والدقيقة ٥٤ والثانية ٢٧" عرضًا في شمالي خط الاستواء. وشكلها كشبه جزيرة مثلّثة الزوايا نطحت قمتها في البحر وهي المعروفة برأس بيروت وامتدّت قاعدتها غربًا فشرقًا الى حيث تندمج بحضيض لبنان. وقد تقوّر ساحلها الشمالي حول البحر فتكوّنت منهُ فرضةٌ بديعة في شكل نصف دائرة. وفي تلك الفرضة يصبّ نهر بيروت المعروف عند الاقدمين بنهر ماغوراس. وهذا النهر يجري شرقيّ المدينة في ميل موازٍ لسلسلة لبنان على مسافة ثلاثة كيلومترات فاذا بلغ الجسر الواصل بين بيروت والحدود اللبنانيّة يأخذ من ثمّ بالانفراج شيئًا فشيئًا حتى مصبّه ويتشعّب الماء جداول فمنهُ ما يسيح في تلك الارباض فيحوّلها الى أنواض وأنهاء ومستنقعات تتوفّر فيها الجراثيم الملاريّة. فهذه وتلك التي تنبعث من تحفّن مياه السقي في الجوار تفسد الهواء وتنشر الحمّى الملاريّة التي تضرب اطنابها في تلك الضواحي كما هو معلوم. وما تبقّى من تلك الجداول يجري في مياهٍ فيصبّ في البحر وذلك في أيّام الشتاء والربيع اذ يكون الماء فائضًا. امّا في الصيف فقد تنضب المياه او تركد في بُرَك آسنة. ولإصلاح هذا الخلل الصحيّ الحاصل من تكوّن المستنقعات يكفي ان يُقام سدٌّ محكم فيحصر الماء ويدفنهُ في ميل مخطوط لا يتعدّاهُ فيحصل من ذلك زوال الانبعاثات الملاريّة وتتحسّن الصحة في المحلات المجاورة

وعلى مقربة من ذاك المصبّ شاطئ الدورة وهو خلوٌ من الصخور وقاعهُ مفروش بالرمل الناعم قد يصلح ضحضاحهُ لحمّامات بحريّة لو كانت تلك المحلة جيدة الهواء.

امّا بنايات بيروت فانها قائمة على ربوة تتحدّر تحدُّرًا خفيفًا من شأنهِ ان يساعد كثيرًا في تحسين الصحة بانطلاق الخنادق والاقنية لو تمّ ترتيبها حسب المرام. وقد شغلت المدينة مساحة ذلك النجد من اعالي تلال الاشرفية وكشبان رأس بيروت حتى شاطئ البحر. ثمّ تتطمّن الارض في هذا المنحدر فيحصل منها جزف قامت فيهِ بيروت

القديمة ومن حولها تنظَّمت احياء حديثة فيها من البنايات العظيمة بل من الصروح الفخيمة ما تُفاخر بها بيروت اتقنَ المدن الاوربية . غير انَّ شوارعها منحطة عن هندام مساكنها فانها شارعان كبيران احدهما يشقّ المدينة من الشكنة الى النهر غربًا فشرقًا والثاني يمتدها من الجنوب الى الشمال وهو طريق الشام وهذان السيلان يتصلّبان على ساحة البرج ومنها يتفرَّع او اليها يُفضي مُجمل دروب المدينة بعد ان تخطَّها في كل جهاتها وتقسمها الى تراسيع متعدّدة . وكلّ يعلم افتقار هذه الطرق للترميم غير انَّ هذا العمل لا يجدي نفعًا ولا تحصل الفائدة منهُ الّا اذا حفرت خنادق رحبة على طرفي الطريق مع استيفاء شروط بنائها وتشييدها وتغطيتها فتجري فيها سيول الشتاء والامطار ويتم بذلك حفظ الطريق من الخراب الوشيك وصون الصحة العمومية من اضرار الانبعاثات الفاسدة

واذا طمح البيروتيّون الى بلوغ حدّ الاتقان وارادوا التناسب بين رونق ابنيتهم ورحب ازقتهم فيقتضي اذ ذاك تصفيحها بالبلاط فتتمّ الفائدة الصحية بمنع الغبار والارحال حقَّق الله الآمال

وتحت طريق النهر لجهة محطَّة السكة الحديديَّة قد امتدَّ بسيطٌ ضيّق على سيف البحر حيث الحجر الصحي وهو ينتهي بصخور تنتصب عموديًا فوق البحر علوُّها نحو عشرين مترًا تتألَّف من طبقات ترتفع فوق بعضها بانحناء قليل من الغرب الى الشرق بين ان ساحل رأس بيروت مركَّب من صخور تقف عند سطح الماء . امَّا قرار المدينة فعمقهُ كذلك وسطحهُ في الغالب رمل وصلصال

ولبيروت كما لاخواتها من المدن العريقة في القدم مدينة قديمة وأُخرى حديثة . فالقديمة واقعة في مربَّع يحدُّهُ طريق النهر جنوبًا والحديقة الحميديَّة مع ما يليها الى البحر شرقًا والطريق النافذة من الشكنة الى البحر غربًا والبحر في الشمال وهي تبدو لناظرها كركام خرائب لا شكل لها . وما من احد الّا ويعلم ضيق ازقتها واعوجاج معابرها وتراكم اقذارها وتداعي مساكنها . غير ان من تأمل نسق بنيانها وتبيَّن شؤونها الصحيَّة حكم انها لا تخلو من بعض الصلاح من حيث البرودة الحاصلة من انفتاد ازقتها وظلّ معابرها وقد يشعر العابر في شوارعها ايام القيظ تلطُّفًا في الحرارة يرتاح لهُ البدن . ولو تيسَّرت مع ذلك النظافة التامَّة لكانت تغني بالمرام الّا انَّ الاوساخ في تلك المحلة قد

تكاثرت حتى يتكرّه المارّة من الاجتياز فيها

امّا هندام المساكن المستحدثة من حيث موافقتها للمبادئ الصحيّة واستخدام غرفها لاعمال المعيشة فسنذكرهُ بعد الكلام عن آثار بيروت الجويّة لانهُ تتوقّف على معرفتها نتائج صحيّة جمّة

آثار بيروت الجويّة

حرارتها

غنيٌّ عن البيان انّ اول ما تلزم معرفتهُ من الآثار الجويّة في جنب موضوعنا انما هو معدّل الحرارة السنوي وللوصول الى هذه النتيجة جمعنا قوائم من مصادر شتى وقابلناها ببعضها فاستنتجنا منها معدّلًا معلومًا لكلّ حالة جويّة فوجدنا ان معدّل الحرارة لعموم السنة تبلغ الدرجة الواحدة والعشرين وثلاثة اعشار الدرجة (٢١° ٣) والفرق بين حمارّة الحرّ وصبارّة القرّ يتهادى بين ست او ثماني درجات وقلما يكون الفرق أزيد من ذلك. فيظهر ان حرارة بيروت منتظمة في استوائها شائقة في اعتدالها والفضل لا ريب لموقع بيروت الطبيعي على ساحل البحر واكتناف الجبال بها. وقد يُستنتج من ذلك لاوّل وهلة ان هواء بيروت مفيد للامراض الصدريّة نافع لها بما فيهِ من الاعتدال. وفي الحقيقة ليس الامر كذلك لسبب ارتفاع درجة الرطوبة الى الستين او الخمس وستين ولا يخفى ان الهواء اذا كان مشبعًا رطوبةً يعرقل تبخُّر الرئتين وذلك عكس المرغوب لشفاء امراضها

ومّما لحظهُ اصحاب الآثار الجويّة في بيروت ان ارتفاع الحرارة يوافقهُ هبوب الريح الغربيّة والغربيّة الجنوبية التي تغلب عليها في شهور القيظ وخصوصًا شهر تموز فتراها تتصاعد في سلم الارتقاء رويدًا رويدًا كلما قابلت فصل الحرّ فتبلغ معظمها في شهر تموز وكلما اقبل فصل البرد هبطت تدريجًا واقلّ ما يكون هبوبها وتقلّبها في كانون الثاني غير ان هذه الريح يغلب هبوبها على سواها كما نبيّن في كلامنا على احوال الارياح

وقد تدوم الحرارة مدّة اربعة او خمسة شهور من حزيران الى تشرين الاول في ارتفاع مستمرّ تكون لهُ في شهر آب وَقدةٌ مبرّحة وقد تبلغ حمارّتها الدرجة الثلاثين او الثانية والثلاثين فيكاد لا يطيقها البدن بسبب الرطوبة المرافقة لها. ثمّ تأخذ بالهبوط

من شهر تشرين الاول فما بعد حتى تبلغ الدرجة السابعة او العاشرة. واذا تحرّينا معدّل الحرارة لكل شهر على حدةٍ عند الظهر وجدناها كما يلي:

الشهر	معدّل الحرارة	الشهر	معدّل الحرارة
كانون ٢	١٢ ,٢°	تموز	٢٩ ,٧°
شباط	١٣ ,٢°	آب	٣٠
آذار	١٧	ايلول	٢٨
نيسان	٢١	تشرين ١	٢٥ ,٢°
أيار	٢٥ ,٩°	تشرين ٢	٢٢
حزيران	٢٨ ,١°	كانون ١	١٦ ,٤

ومما يجدر بنا ذكرهُ ان المرء يحسّ ببردٍ قارس يشمل بدنهُ وان وقفت الحرارة عند الدرجة الخامسة او السادسة فوق الصفر وهذا البرد يشعر به حتى الغريب الصَّرد الذي اعتاد احتمال البرد الشديد في بلادهِ (ستأتي البقيّة)

الدخيل في اللغة العربية

للكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس

مما لا يندّ عن نيّرة الخبير ان الكلم الاعجميّة قد دخلت العربيّة منذ ازمان لا يُمكن تعيينها بتحقيق بيد أننا بتساهل نلاحظ ذلك بثلاثة اعتبارات او ادوار تاريخيّة...

فالدور الاوّل وان اعتاص علينا تعيينهُ لتوغّلهِ في القدم ولجهلنا حقيقة تاريخ أحوال العرب في عصرهم الاوّل يمكننا ان نقول انَّ ما تسرّب فيهِ من الدخيل الى اللغة العربيّة كان شُوايةً لا يُؤبَه بها: لان احوالهم المعاشيّة والسياسيّة كانت في ذيّاك الزمن في أبسط ادوارها واحوالها وتصوّراتهم كانت مقصورة على ما يقع عليهِ طائر النظر في بلادهم وقد ارتجلوا لهُ ثبَت من الاسماء ما شاؤوا وارادوا مما ضاقت عن استيعابهِ صفحات المعاجم. فمن ذلك اوصاف الابل مثلاً فانهم قد وضعوا لكل عضو او صفة فيها او حالة لها اسماً مخصوصاً حتى كاد مجموعها يفوق الالوف عدًّا ولا تتصفّح مادّةً

في المعاجم العربيَّة دون ان تستشق ذفر الايل فيها ومع ان اللغة لم تكن في ذلك العهد إلَّا في مهد طفوليَّتها اي غير بالغة من الغنى بالفاظها ودلالاتها وتنوُّعاتها مبلغها الحاضر فقد كانت كافيَةً ليحوكوا من الفاظها بُرودًا يُلبسونها قدود معانيهم تلك الساذجة

امَّا الدور الثاني فيبتدئ من القرن الرابع ق م ايَّام أزهرت دولة الحيريين في جنوبي العربيَّة. ثمَّ من نُزوح القبائل العربيَّة عن البلاد اليمنيَّة بعد سيل العرم في أواسط القرن الثاني ب م ومخالطتهم الاعاجم في جالياتهم

وبديهيٌّ انَّ الحضارة واتساع نطاق التجارة ومُخالطة الامم الغربية اللغة لهي اعظم الذرائع لإدخال الألفاظ الاعجميَّة كما لا يخفى

ولا نكير ان مسمَّيات كثيرة اعجميَّة قد ارتجل العرب او وضعوا لها بداءةً اسماء عربيَّة تدلّ عليها. بيد ان ذلك كان بعضًا من كلّ اذ لم يكونوا ليأنفوا من تعريب الاعجمي او استعماله كما يتأفَّف كثير من ادباء هذا العصر من استخفَّتهم حميَّة التعصب للغة العربيَّة وفاتهم انَّ الاولين انفسهم قد عرَّبوا اكثر الاعجميّ واستعملوا كثيرًا من الدخيل غير المعرَّب ممَّا كان قد سقط عليهم وكثر دورهُ على السنتهم كما ترى في اشعارهم القديمة

وفي هذا الدور الثاني قد انساب الى اللغة من الدخيل اكثر ما انساب اليها منهُ في الدور الاول. ومع هذا فلم تكن بعدُ قد اعترضت السنتهم عُقدةٌ ولا تحيَّفتها حكمة ولبث اللسان العربي في هذا الدور ايضًا صحيحًا فصيحًا في البلاد العربيَّة وذلك الى ما قبل ظهور الاسلام

امَّا الدور الاخير فيبتدئ منذ اواسط القرن السابع فصاعدًا والذي قيَّض فيه للدخيل ان يُغير بخيلهِ ورَجلهِ على ربوع العربيَّة امتداد فتوحات العرب الاسلام ممَّا كان مدعاةً لفشوّ اللَّحن وسائر معايب اللسن على السنتهم. وامَّا تغلغل الامويُّون والعباسيون في مشارق الارض ومغاربها وتأيُّد سلطانهم على بلاد الاعاجم واستحكمت عُرى الاتصال بينهم في اثناء القرنين الثامن والتاسع وكاد السمع يختلف أصول ملكة الفصاحة الراسخة في السنتهم حتى خيف على اللغة ان يستشري في جسمها الفساد وينغلق باب المفهوم من القرآن على اهلهِ في مستأنف الزمن ثارت حميَّا الغيرة الدينيَّة في رؤوس فريق

من ارباب الفضل فاستنفروا لها من يهم الكفاية الى سدّ هذه الثلمة وتدارك رتق ذاك الفتق. فهبّ لذلك لفيف من لغويي الكوفة والبصرة وهم اعاجم اصلًا غير أنهم كانوا قد ارتضعوا من اللغة افاويق درّها وربوا في حجرها فبرّوها بان دوّنوا ما اقدرتهم على جمعه الهمّة مما تخيّروهُ من كلام القبائل التي كانت ملكةُ السنتها بِلّةَ الفصاحة. فكان ما احرزوهُ من أعلاقها النفيسة برضًا من يدٍ وقُلًا من كثر وقد تخلّلهُ مئات من كلم اللغات الاجنبيّة وحوشيّها مما كان قد كثر دورهُ على السنتهم. على انهُ لا شين عليهم فيما اندرج في كلامهم من الدخيل والمعرّب فهذه معاجم لغات الاعاجم فانها قد رُحبت بكثير من الغريب عنها حتى لا تكاد تحار مادّةً من موادّها الّا وترى فيها بين متفرّعاتها الاصليّة لفظةً او اكثر منهُ لا تجمع بينها وشائجُ رَحِم ولا تمتُّ اليها بلُحمة قُربى او نسب. وكما انهُ قد تطرّق الى اللغة العربيّة طوائف من كلم اللغات الاعجميّة كالسريانيّة والفارسية والروميّة الخ ترى ايضًا مئات من الكلم العربيّة في اللغات المذكورة وغيرها قد عجّتها الاعاجم وحوّلوها الى مناهجهم ومناحيهم (١)

امّا الدخيل الذي دوّنوهُ فيرجع في الاغلب الاعمّ الى الالفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتهم وهو ينحصر في اربعة انواع لا خامس لها

١ الأعجمي الذي سقط اليهم وهو غير موافق لأبنيتهم وأبقوهُ على صورته الاعجمية او غيّروهُ قليلًا ليخفّ لفظهُ على ألسنتهم واكثر هذا النوع من اسماء الاعلام والألقاب الدوليّة والمعادن والعقاقير والاصطلاحات البحريّة والمكاييل ونحوها مما لم يألفهُ العرب او انتهى اليهم من الاجانب ويلحق بهذا النوع اسماء المخترعات الحديثة كالفونوغراف والتلغراف والترمومتر الخ

٢ ما غيّروهُ منهُ ولم يُلحقوهُ بأبنيتهم. ولمّا كان الدخيل من هذا النوع قد اعتور اكثرهُ القلبُ والابدال وتوفّر فيه التصحيف والتحريف كان لا بُدّ للباحث في تحقيق اشتقاقه وإعادته الى نصابه من بسطة علم ووفرة اضطلاع في اللغات الاعجمية والّا كان كمن يضرب في ترّهات السرابس او ينفخ في غير ضرَم ولذا ترى كثيرين من لغويي

(١) نقترح على الادباء من أرباب القلم ان يخوضوا عباب هذا الباب ويأتونا بجانيك الفرائد التي تطاولت بها اللغة العربية على غيرها من اللغات في سالف عهدها. (قلنا) انّ المستشرقين قد طرقوا هذا الباب وقد وضعوا عدّة كتب في ذلك ونكتفي هنا بذكر كتاب الاب ه. لامنس اليسوعي المنون Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe (المشرق)

العرب وفريقًا من الادباء المحدثين قد اضطربوا في تحقيق الفاظ كثيرة دخيلة لجهلهم معرفة تلك الاصول التي أُخذ عنها

٣ ما حوّلوهُ عن مناحي الاعجميّة وألحقوهُ بابنيتهم ومن هـذا النوع طوائف عديدة في المعاجم العربيّة نُبِّه الى عجمة بعضها لفيف من اللغويين وقد جمع منهم شيئًا من ذلك ابو منصور الجواليقيّ في كتابهِ المعرّب من الكلام الاعجميّ (طُبع في لبسيك سنة ١٨٦٧) وزاد عليهِ الإمام شهاب الدين الخفاجيّ في كتابهِ شفاء الغليل (طبع في مصر سنة ١٢٨٢ﻫ)

٤ ما وافق منهُ ابنيتهم ولم يغيّروهُ. ومن هذا النوع الاخير والذي قبلهُ موادُّ عديدة في العربية قد التحمت بكلامهم التحام اللُّحمة بالسداة ووقع كثيرٌ منها في الاشعار المرويّة عن الاقدمين منهم ممّن يُرجَع اليهم. واكثرها يشتقّ من السريانية والفارسيّة وقد دبَّ الدخيل من الاولى من بلاد الجزيرة وشمالي العربية حيث كانت السريانية لغة هاتيك الارجاء ومن الثانية من بلاد العجم شرقي العربية على ان ما دخل اللغة من السريانيّة لهو اكثر ممّا دخلها من الفارسية. قال ابو بكر: قد دخل في عربيّة اهل الشام (يريد سوريّة) كثير من السريانية كما استعمل عرب العراق اشياء من الفارسية

ومن تصفّح معاجم اللغتين العربية والسريانية يجد فيها موادّ كثيرة متقابلة بينها مشاكلة معنويّة في اكثر مشتقّاتها وتصاريفها بحيث يتعذّر عليهِ الحكم بايّ اللغتين سبقت الأُخرى فاخذت هذه عنها

ولا لُبسة انّ البحث في تحقيق اصل هذه الموادّ لهو من ادقّ المباحث اللغويّة ولذا ندر من قرع بابهُ من ارباب اللغات. وقد علمتُ مؤخّرًا ان احد المستشرقين من العلماء الجرمانيين قد عانى سلوك هذه الشقّة فالّف لذلك كتابًا سنة ١٨٨٦ بحث فيهِ عن اصل كلمات كثيرة زعم ان العرب اخذتها عن السريانية غير انهُ قد وهمَ في تحقيق كثيرٍ منها

وقد ضرب لغويّو العرب عن التنبيه الى عجمة المعرّبات المشار اليها ولوهمهم انها عربية محضة تخيّلوا لها اشتقاقًا عربيًّا غريبًا

فمن ذلك كلمة «الدمية» وهي سريانية محضة لم ينبه الى عجمتها احد ولجهلهم اصلها الاعجميّ اضطربوا فيها. قال الليث في تعريفها: هي الصورة المنقوشة من الرُّخام.

وقال غيرهُ انها من العاج. وآخر انها الصورة عامَّةً. وقال ابو العلاء في اشتقاقها سُمِّيت دُميةً لانها كانت اوَّلاً تُصوَّر بالحمرة فكأنَّها أُخذت من الدم. وجاء في الروض تسمَّى الاصنام دُمًى لان الدماء تُراق عندها تقرُّبًا...

وما الدمية الَّا سريانية كما قدَّمنا معرَّبة عن بِعْما (دموت) وهي الصورة والصنم كيف كانا. وليس اشتقاقها من الدم كما وهموا بل من بُعما وفعلهُ بِعْا معناه ماثلَ وصوَّر وشبَّه

على انَّ بحثنا عن اشتقاق هذه اللفظة وتعريب العرب لها يؤدي بنا الى تأييد حقيقة تاريخيَّة هي ان العرب قد اتَّخذوا العبادة الصنميَّة توًّا عن السريان. والدُّمى بمعنى الاصنام وعبادتها قد عُرفت قديمًا في الجاهليَّة. ومن أيمانهم بها قولهم: «لا والدُّمى» اي وحق الآلهة المعبودة. وقد وقعت الدمية في بيت من قصيدة للنابغة الذبياني حكَم الشعراء في سوق عكاظ قال:

او دميةٌ من مرمر مرفوعة بُنيت بآجرّ تُشاد وقَرْمَدِ (١

ومن ذلك كلمة «الآيل» فقد عرَّبها العرب قديمًا عن السريانيَّة ولم ينبهوا اليها وحوَّلوها عن وزنها الاعجمي الاصلي الى وزن قِنَّب وخُلَّب وسَيِّد وبعض الاعراب يلفظونها الآجل فيبدلون من الياء جيمًا. وتخيَّلوا لها اصلًا عربيًّا قالوا: انما سُمِّي الوعلُ آيلًا لانهُ يؤوِّل الى الجبال فيتحصَّن فيها. وهو تعليل ساقط كما يظهر بادنى تأمُّل

اما اشتقاقها من السريانيَّة فممَّا لا شبهة فيه وهي معرَّبة عن أمَلا (أيل) واصل اشتقاقها من أمكا معناهُ القصن والفنَّ وعليه يكون المراد بالآيل الحيوان ذو القرون ولا يخفى ان الآيل بانواعهِ ذو قرون متشعِّبة متفرِّعة كاغصان الشجر. ولا يستغربنَّ القارئ هذه التسمية فهي ترجع بنا الى اوَّل نشأة اللغات

---

(١) كذلك الصَّنَم والصَّنَمة والنصبة معرَّبات من السريانية ايضًا وهي بمعنى واحد وقد اضطربوا في اصل اشتقاقها اضطراجم بالدمية واشالها فمرَّب الاولى وَحْطا (صَلَم) معناه صورة وصنم. فابدلوا من اللام نونًا ويؤيد اشتقاقها من السريانية وجود فعلهِ وَحْطا معناه صوَّر ومثَّل. والصنم كالدمية لفظًا ومعنًى وليس لهُ في العربية اصلٌ يفيد معناهُ. وذكر ابن الاعرابي النَّصَبة والصَّنَمة وفسَّرهما بالصورة التي تُعبَد. والصنمة والنصبة اذًا بمعنًى. وما اللفظة الثانية الَّا نفس الاولى تقدَّموا النون على الصاد إمَّا ميلًا لتخفيف اللفظ او للتفنُّن فيهِ وامثال هذا كثير في العربية كالجذف والجذب والبشع والبشن بمعنى المطر الخفيف

وبديهيّ ان اللغات منذ اوّل عهدها كانت قليلة الالفاظ ضيّقة دائرة التعبير عن معاني الناطقين. وكان المتكلّمون بامّة يستخدمون من الفاظها ما وافق منها للدلالة على ما يرونهُ ولم يكن قبلًا في ذهنهم. فالمكسيكيّون مثلًا قد سمّوا الماعز اوّل عهدهم بها « كواكوا وتتسون » يريدون بها الحيوان ذا القرون واللحية. وترجمتها حرفيًّا « رأس شجرة شفة شعر ». فارادوا برأس الشجرة القرون وبشفة الشعر اللحية. وكثير من امثال ذلك في سائر اللغات

ومن ذلك « العربون ». وهو ان تشتري سلعة وتدفع الى صاحبها شيئًا على انهُ ان أمضى البيع حُسب العربون من اصل الثمن والّا كان لصاحب السلعة ولا حقّ لك في استرجاعه. وقد اختلف اللغويّون في مجرّده فذكرهُ ابن الاثير في مادّة « عرب » اعتبارَ انّ النون زائدة. وأشكل على صاحب التاج فاوردهُ في مادّة عَرَب ايضًا متابعةً لابن الاثير ولفريق آخر من اللغويّين. ثم ذكرهُ في مادّة عربن ايضًا الى قول من قال باصالة النون. على انّ الذين ذهبوا الى القول الاوّل قد تخبّطوا لهُ اصلًا غريبًا فقال بعضهم انهُ مشتقّ من التعريب الذي هو البيان لانهُ بيان للبيع. وفي لسان العرب لابن منظور: سمّي بذلك لان فيهِ اعرابًا لعقد البيع اي اصلاحًا وإزالة فساد لئلا يتملّكهُ غيرهُ باشترائهِ. وقد اسند قولهُ الى ما جاء في حديث عُمر وهو ان عاملهُ اشترى دارًا للسجن بار بعمة آلاف وأعربوا فيها اربعمائة اي أسلفوا

والذين قالوا باصالة النون صرّحوا بانهُ حرف اعجمي انّما عرّبتهُ العرب وصرّفوا منهُ فقالوا عَرْبَنتُ بالشيء اي أسلفتُ

وزعم بعضهم انهُ من الأربة وهي العقدة وعلى هذا تكون عينهُ مبدّلة من الهمزة وعلّلوا لهُ قالوا سُمّي أربونًا لانّ بهِ يكون انعقاد البيع. ولم يأتِ اختلافهم فيهِ عند هذا الحدّ فقط بل قد تمادى بينهم الخلاف في حقيقة لفظهِ على تسعة اقوال فقالوا هو: العَرْبون والعُرْبون وفيهما بالاسكان والعُرْبان والعَرْبان والعُرّبان والأربون والأُربان. وزاد بعضهم لغةً عاشرة فقال هو الرُّبون ونسبهُ غيرهُ الى العامّة انّها خفّفتهُ من أوْبون باسقاط الهمزة. وقد جاء في السريانيّة ايضًا أهصّمًا رهبون او رعبون وعلى هذا يلفظها جلّ عامّة اللبنانيين لبنًا يبدلون الهاء منها بعين غالبًا وقد تتعاقبان في لفظ بعضهم لقرب مخرجهما والكلمة يونانيّة الاصل بهذا المعنى معرّبة عن ἀρραβών وليس لها اشتقاق ترجع

اليه لا في السريانية ولا في العربية كما رأيت خلافاً لليونانية(١). ومما يرادفها من العربي الفصيح لفظة المسكان والعامة تقول مسكة واشتقاقها من المسك. ومما يرادف العربون ايضاً السلم والسلف بالتحريك فيهما

ومن ذلك ايضاً كلمة « الزبون » جاء في القاموس: الزبون الغبي والخريف مولد. وفي الصحاح: ليس من كلام اهل البادية

اقول انَّ الزبون بالمعنى الاول هو فارسي ومعناهُ بالفارسية الضعيف الاخرق والسخيف العقل. اما بمعناهُ الثاني فهو سرياني معناهُ البائع. والشراء. وقول التجار « لي زبانن » مأخوذ منهُ. فالكلمة بمعناها الاخير معربة عن أصلها وفعله اشترى وباع ضدّ. وقد ورد في بعض المعاجم ان الزبن هو الشراء والبيع فكأنهُ عُرب بمعنييه. وقد علمت ان الزبن باعتبار اصله السرياني هو البيع والشراء مطلقاً. اما العرب فلما جهلوا اصلهُ هذا تضاربت آراؤهم في تعريفهِ فقالوا: هو بيع كل ثمر على شجرهِ بتمر كيلاً. او هو بيع الرُطب في رؤوس النخل بالتمر كيلاً (أطلق في القول الاول وقُيد في الثاني). او هو بيع جُزاف لا يُعرف كيلهُ ولا عددهُ ولا وزنهُ بشيء من مكيول او موزون او ممدود. او هو بيع معلوم بمجهول من جنسهِ. او بيع مجهول بمجهول من جنسهِ. او بيع المغابنة في الجنس الذي لا يجوز فيهِ النسيئة. . .

وقالوا في اشتقاقهِ انهُ من الزبن بمعنى الدفع. وهو اشتقاق غريب كما لا يخفى

ومن ذلك ايضاً « الظُهر » وعرّفوه انهُ ساعة الزوال. وزعموا انهُ عربي مأخوذ من ظهيرة الشمس وهي شدة حرها. وهو زعم باطل كما اظنّ لانهُ لو كان اشتقاقهُ من الظهيرة بمعنى الهاجرة لامتنع ان نقول ظهراً لمنتصف نهار فصل الشتاء. والربيع والخريف لانهم منعوا ان يُقال ظهيرة لغير أيام القيظ على ما افاد ابن الاثير وابن سيده. ناهيك عن ان الظهر والظهيرة ليسا في شيء من معاني الحرّ والأوار اصلاً. اما الظهر فهو سرياني ودلالتهُ الاصلية النصف والوسط مطلقاً فيقال: مهوء هدا نصف الليل كما يقال مهوء أمصطا نصف النهار و مهوء ششا نصف الشهر فهو اذاً بمثابة فلكها (نصف) غير انهُ فيما بعد صار علماً بالغلبة لمنتصف النهار وذلك عند إطلاقهِ

(١) يردّ هذا القول انَّ لفظة عربون وردت في العبرانية قبل اليونان في سفر التكوين (٣٨: ١٧، ١٨، ٢٠) كما ان لفظتي « دُبة وآبل » تكرّرتا في الاسفار المقدسة قبل السريانية (المشرق)

ومما مرَّ بك تعرف الفوائد المُكتسبة من هذه الابحاث فانها تطلعك على الدلالة الاصليَّة للكلمة وتوقفك على حقيقة لفظها وتتجلى لديك بعض الحقائق التاريخيَّة التي كانت تُغشيها ظلمات القدم وغير ذلك من الفوائد اللُّغويَّة

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

ترقّي النصرانية في القرن الرابع

حان ان نعود الى تاريخ انتشار النصرانية في لبنان بعد استطرادنا الى ذكر مبادئ العيشة الرهبانيَّة فيه

لمَّا تبوَّأ قسطنطين الكبير منصَّة الملك اخذت قدم النصرانيَّة ترسخ في لبنان ولعلَّها كانت طمست آثارَ الوثنيَّة لولا بدعة آريوس التي بذرت في قلوب المؤمنين وخصوصاً بين الاساقفة بذر الشقاق والنفور فجعل الآريوسيون يفرغون كنانة الجهد في مطاردة الرعاة الارثوذكسيين ومعاكستهم لا يهمُّهم شيء من امر الوثنيين وانارتهم بضياء الايمان. بل كان المشركون يزيدون تباعداً عن الكنيسة لما يرون في احبارها من تفرُّق الكلمة في اكبر عقائد النصرانيَّة اعني لاهوت المسيح ومساواتهُ لابيهِ في الجوهر

امَّا مُلك جليان الجاحد فأولى الوثنيَّة انتصاراً لم يكن في حسبان اهلها. فاستأنف المشركون فتح الهياكل المُقفلة ورمّموا ما تهدَّم من المعابد. والمرجَّح انَّ هيكل الزهرة في افقا جُدِّد بناؤهُ في ذلك العهد كما أُصلح قسمٌ من معبد المشنقة (١ وعاد الوثنيُّون فاحتفلوا باسرار ادونيس اي تموز بأبهة عظيمة كألوف عادتهم سابقاً. ونال بيروت نفسها اضطهادُ عبدة الاصنام فانَّ الكتب مقدوس قدم هذه المدينة ومعهُ فريق من الجند واليهود فاحرقوا كنيستها الكبرى ولا غرو ان كنائس لبنان أصابها ما اصاب كنيسة بيروت من حريق ودمار

(١ راجع بحث فينيقية ص ٢٨٦

ولكنَّ الله اللطيف بعباده جازى وشيكًا جليان على كفره واقام خلفًا لهُ يُثيان وكان رجلًا تقيًّا مبغضًا للشرك فامر الكنتَ مغنوس بان يشيد كنيسة بيروت على نفقته ولولا علم الملك لقطع رأسهُ واصاب الجزاء عمَّا جنت يداهُ من الآثام العديدة

ومِمَّن اشتهروا في ذلك العهد ناسك لا يزال ذكرهُ مكرَّمًا في لبنان وهو القديس موسى الحبشي الذي اختارتهُ ماوية ملكة العرب اسقفًا لقومها وسامهُ القديس اثناسيوس الاسكندري فتولَّى رعاية العرب المقيمين في شبه جزيرة سينا وفي جنوبي فلسطين

ولمَّا صار زمام الملك الى يد تيودوسيوس الكبير أُصيبت الوثنيَّة في سواد قلبها فانَّ هذا العامل الشهير امر كبير قوَّاده سنة ٣٨٤ بان يُقفل هياكل الاصنام ليس فقط في لبنان بل في الشرق باسره. وفي سنة ٣٩٢ في العشر الاول من تشرين الثاني سنَّ شريعة ثانية كان مرادُها ان تُبطل عبادة الاوثان فلم يتجاسر الوثنيون على مقاومة السلطة. لكنَّ بعضًا منهم ثبتوا على عاداتهم يُمارسوا دينهم خفيةً في القرى المنفردة والجبال القاصية. وكان القياصرة مع ذلك لم يهدموا هياكل الاصنام بل اكتفوا بان يبطلوا فيها المناسك الدينيَّة. والدليل على ذلك ان الدستور المعروف باسم ثاردوسيوس يتضمَّن عدَّة شرائع سنَّها الملوك النصارى تقضي بمعاقبة الذين يسعون في خراب الهياكل الوثنيَّة وكانت غايتهم بذلك ان يحافظوا على آثار الاقدمين لحسن هندستها (١ وكانوا في الغالب يخصصون هذه الابنية لخدمة الدين الحقيقي فيجعلونها كنائس مسيحيَّة (٢. الَّا ان ذوي الامر اضطرُّوا في بعض المواطن الى استعمال القوَّة الجبريَّة وتقويض المعابد الوثنيَّة خصوصًا في بلاد فينيقية ولبنان. فمن جملة الابنية التي اجاءتهم الاحوال على نسفها دون الزهرة في افقا لانَّ سَدَنتهُ كانوا اتخذوه كماخور يجترحون فيهِ الفحشاء. واقطع الارجاس باسم دينهم الباطل

ومن بدء القرن الخامس للمسيح لمَّا استوى القديس يوحنا فم الذهب على كرسي

---

١) راجع P. Allard : *L'art païen sous les empereurs chrétiens*

٢) راجع كتابات سورية وحوران لوادنتون (ع ٢٤٩٨). ومن الهياكل التي جعلها النصارى كنائس هيكل بعلبك المعروف باسم تريليتون (Trilithon) وكنيسة مار يوحنَّا في دمشق المعروفة اليوم بالجامع الاموي

القسطنطينيّة (٣٩٨—٤٠٧) اراد ان يستأصل من لبنان شأفة الشرك فارسل قوماً من دُعاة الدين ليرشدوا اهل لبنان الى طريق الهدى (١ وقد لاقى هؤلاء المرسلون في تنفيذ دعوتهم مشاكل عديدة فطرد الاهالون بعضاً منهم وقتلوا آخرين. على انّ هذه المعاملة السيّئة لم تكن لتثني عزائمهم فواصلوا الانذار والتبشير وبالغوا في ملاطفة السكّان حتى اجتذبوهم الى عبادة الاله الحقيقيّ. وممّا اتخذوا من الوسائل لإبطال الاثنيّة انهم جعلوا لاهل لبنان الاعياد واقاموا المواسم احتفاء باسرار الدين النصراني الطاهرة فعدلوا بهم عن الحفلات الوثنيّة الى العبادات والمناسك الخلاصيّة

تنظيم الكنائس في لبنان

وفي مطاوي هذا القرن الخامس جُعلت كنائس لبنان على نظام قانوني قسّمت الى قسمين كنائس فينيقية الساحليّة وكنائس فينيقية لبنان وفقاً للتقسيم المدني الذي جرى عليه اولاً ديوقاسيان (راجع المشرق ٣ : ١١٠٣). وقد ذكرنا هنا هذا التنظيم اوّالةً للالتباس لانّ الكراسي الاسقفية اصابها بذلك بعض التغيّرات وعُدّت من ايالةٍ غير التي كانت معدودةً منها سابقاً. وما يهمّنا نحن في مقالاتنا عن آثار لبنان انّما هي فينيقيّة الساحليّة امّا فينيقية لبنان فانها كانت تشمل الجبل الشرقيّ ومنعطف لبنان من جهة الشرق وعليه فانها لا تدخل في حيّز مباحثنا

وجُعلت صور رأس ولاية فينيقية الساحليّة واضحى كرسيُّها لهذا السبب متقدّماً على بقيّة كنائس الولاية فدُعي لذلك بالكرسي الاوّل (πρωτόθρονος) في بطريركيّة انطاكية وجُعلت تحت حكمه كراسيّ اسقفيّات عديدة نذكر من جملتها ما لهُ علاقة مع لبنان الحالي وهي : ١ً صيدا. ٢ برفيريون والمدعوّة اليوم النبي يونس وتدعى ايضاً برجا موقعها بين بيروت وصيدا (٢. ٣ً جبيل او بيلوس. ٤ً البترون او بُتريس . ٥ً غيرتا (٣. ٦ً تريارديس (Trierès) وهي المسمّاة اليوم

١) راجع تاريخ تاودوريطس (ك ٥ ع ٢٩) ورسائل القديس يوحنّا فم الذهب (ع ١٢٣، ١٢٦) الّا انّ هذه الرسائل مع ذكرها لبنان لا يظهر منها جليّاً أُريدُ منها لبنان الحالي او جبال النصيريّة ولعلّ المقصود منها هذه الجبال

٢) وسنعود الى ذكر آثارها

٣) امّا موقع هذه المدينة فسنبيّنهُ ان شاء الله

أنفة (١. ٧ طرابلس. ٨ عرقا (٢. ٩ اورثوسياس (٣. اما بيروت فمع كونها واقعة في ولاية صور الكنسية كانت مستقلة عنها . ورقي اسقفها الى مرتبة مطران ولكن لم يكن اساقفة تحت حكمه (٤

وهذا ولا نشك في ان بعض قرى لبنان الكبرى كاهدن وبشراي واميون (في الكورة) كان لها روساء روحيون من درجة الخورفسقوس . وكانت هذه الرتبة شائعة في ذلك العصر . ونا شاهد في ما ذُكر عن القديس باسيليوس اسقف قيسارية انهُ كان تحت امره خمسون خورفسقوفاً الا انَّ هذا المنصب الكنسي ابتذل لكثرة شيوعه فانحط بدرجة رعاة القرى . وما اسم « الخوري » الا اشتقاقٌ من اسم الخورفسقوفس

وفي هذا العهد ايضاً انتظمت الطقوس الكنسية المهمة الى ان صارت بعد زمن على هيئتها التي نألفها اليوم . ومنَّن ساعدوا على تنسيق هذه الطقوس بعض القديسين الاجلاء كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس باسيليوس الكبير الا انَّ هذه الطقوس لم تُنسَ ما كان سبق اليه القدماء من الرتب الدينية كالطقوس الرسولية والرتب التقليدية منها الليتورجيا الشريفة المنسوبة الى القديس يعقوب وغير ذلك

اما اللغات الكنسية فكانت محصورة في اللغتين اليونانية والسريانية ولم تشع اللاتينية كافة طقسية وانما كانت لغة الدولة الرسمية فقط . وقد استعملها اهل بيروت مدة ثم انحصرت في ضمن مدارسها الفقهية الشهيرة . الا انها أهملت شيئاً فشيئاً حتى أبطل استعمالها وكانت كنائس المدن الساحلية تؤثر في طقوسها اللغة اليونانية اما كنائس الجبل فكانت السريانية هي الغالبة على ألسنة كهنتها (راجع المشرق ٣: ٢٦٧) . وزادت السريانية انتشاراً في لبنان لما صارت السيطرة فيه للطائفة المارونية

انتصار النصرانية نهائياً على الوثنية في لبنان

بعد وفاة القديس يوحنا فم الذهب قدم لبنان من مدينة الرها احد النساك فتوطَّنهُ

---

١) هذا الصواب وليس كما ورد في المنار (ص ١١٤ من السنة ١٩٠٠) انها « حصن ساحلي شمالي طرابلس ربما القليعات » ٢) واخربتها تُعرف الى اليوم بهذا الاسم

٣) تدعى اليوم اورتوزي بجوار نهر البارد

٤) خلافاً لما جاء في مقالة المنار السابق ذكرها (ص ١١٤). وهذه المقالة تستدعي هذه اصلاحات . نقول ذلك رعاية للحق مع ما نعرفهُ من فضل كاتبها الذي اختبرنا لطفهُ يوم زرنا دير البلمند

وجعل يسعى في هداية اهل الوثنيين. ذكر ذلك البولنديون في تاريخ ١٤ شباط. ولعل المراد بلبنان في ترجمة الناسك المذكور انما هو جبل عكار لانَّ النصّ الوارد فيه اسم هذا العابد يشير الى مدينة حمص. وهي كما لا يخفى مجاورة لجبل عكار

وكذلك تكرَّر ذكر لبنان في ترجمة حياة القديس سمعان العمودي فانَّ راوية اخباره يقول عنهُ انهُ انجز هداية اهل لبنان فرجّعهم الى الدين القويم بما اصطنعهُ من المعجزات الباهرة. لكنَّنا هنا ايضاً لا يمكننا القطع بان المراد بلبنان الجبل المعروف اليوم بهذا الاسم. ونحن نعلم انَّ هذا القديس اشتهر في ولاية حلب في الجبل المسمّى اليوم بجبل سمعان. على انَّ الذي يُمعن النظر في اقوال مؤرخيهِ لا يرى ما ينفي لبنان الحالي لان الزوَّار كانوا يتقاطرون الى عامود القديس من بلاد بعيدة فكان العرب يأتونهُ من اقاصي البادية ليستمعوا تعاليمهُ. ثمَّ انَّ اوصاف لبنان في تواريخ هؤلاء الكتبة توافق جبلنا منها ذكر الغابات والوحوش الضارية ومعابد الاصنام وتعلّق الاهالي بعبادتها بحيث لا يرذلون خدمتها الّا بعد نظر العجائب التي تجري على يد القديس سمعان. فكل هذه الاوصاف تصدق عن جبل لبنان الحالي. غير انَّ اسم لبنان وحدهُ ليس بكافٍ لنجزم بهذا الامر وقد قلنا سابقاً انَّ هذه القسمة كانت تشمل في القرنين الخامس والسادس جبالاً أخرى

وان قال قائل انَّ المراد بلبنان انَّما هو لبناننا الحالي لانهُ ورد في اثناء ذكر لبنان اسمُ احدى قراهُ وهي قرية انداريس (Andaris) الموافقة لقرية عين دارا في معاملة العرقوب الشمالي. اجبنا انَّ هذه الموافقة بين الاسمين ليست مقرَّرة ثمَّ انهُ لمحتمل ان ضيعةً تدعى عين دارا اشتهرت سابقاً في جبال غير لبنان الحالي ممَّا كان يُعرف ايضاً باسم لبنان كجبل النصيريَّة وجبل الشيخ. فترى من ثمَّ انَّ هذه الافادات ليست بكافية لتدوين هذه الاخبار في تاريخ النصرانية في لبنان

ولمَّا ظهرت البدعة النسطوريَّة وجدت في بعض اساقفة لبنان صدًى لتعاليمها الفاسدة. فانَّ افراداً منهم انحازوا لحزبهِ. وفي بيروت التأم المجمع الذي حكم على ايباس اسقف الرها احد انصار نسطوريوس. وكان ذلك حسب منطوق اعمال المجمع « في بيروت المدينة الفائقة الجمال في دار اسقفها الحديثة بجوار الكنيسة الجديدة المقدَّسة »

امَّا بدعة اوطاخي فكان لها في لبنان عاقبة اوخم من النسطوريَّة فنشأ سمُّها في بلاد الشام وألحقت باهلها مدَّة زمن مديد اضرارًا لا يُسبر لها غور. وكان اوستات اسقف بيروت تشيَّع جهارًا لاوطاخي. فجازاهُ ملك الروم بان اصدر براءةً ورد فيها انهُ « يخوِّل مدينة بيروت المزدانة بالفضائل اسم حاضرة (métropole) مع الامتيازات التي تُعطى لأُمَّهات المدن ». فظنَّ ارستات انَّ رقيم القيصر كافٍ ليمدَّ سلطتهُ الروحية على اساقفة جبيل والبترون وطرابلس وغيرها من الاسقفيات الواقعة في شمالي فينيقية الساحلية. الَّا ان مطامعهُ رُذلت بعد زمن قليل في عهد مرقيان الملك

وقد تسطَّر لبنان بفضائل بعض القديسين في اواسط القرن الخامس للمسيح نخصُّ منهم بالذكر القديسة مطرونا وُلدت في اسيا الصغرى ثمَّ اقامت ديرًا في حمص وانتقلت اخيرًا الى بيروت فاثارت جمًّا غفيرًا من النساء الوثنيات بانوار الايمان

ومنهم القديس ربولا السُّتيلطي قدم بيروت في ايَّام الملك زينون ثمَّ تعبَّد لله في جبال لبنان المعتزلة. وجاء في تاريخ قديم (راجع اعمال القديسين للبولنديين ١٥ شباط ص ١٢٦) « انَّ ربولا المذكور شيَّد بمساعدة زينون القيصر ويوحنا حاكم بيروت ديرًا كبيرًا في وسط الجبل. وكان يعيش مع رهبانهِ بين الجليين وهم وقتئذٍ متمسِّكون بظلمة الوثنية فعرض عليهم اسرار الديانة وردَّ حججهم واجتذبهم الى الدين القويم الَّا نفرًا قليلًا منهم ». فيؤخذ من هذا الكلام انَّ عبادة الاصنام لم تُطمس بعدُ آثارها في لبنان نحو مئة سنة بعد تاودوسيوس الكبير

ولعلَّ القارئ يسأل وما هو الدير الذي عمَّرهُ ربولا الراهب ؟ قال الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخ لبنان (ص ٢٣٨٩ من تاريخهِ المخطوط): « ان الدير الموما اليهِ هو دير القمر ». لكنَّنا لا نرى على اي حجَّة بنى الاب مرتينوس زعمهُ هذا. وغاية ما نعرف عن دير القمر ان ذكرها ورد في تاريخ الصليبيين ولكن هذا ليس ببرهان مقنع. لاسيما اننا نرى في لبنان قرًى غيرها دخل في تركيب اسمها اسم الدير فيصحُّ فيها قول الكاتب المنوَّه بهِ وبعضُها ليس بعيدًا عن بيروت لان النص يشير الى دير قريب منها

وزادت بدعة اوطاخي انتشارًا في سوريَّة لمَّا ظهر ساويروس الانطاكي. وكان المذكور قضى سنين عديدة من عمرهِ في بيروت حيث درس الفقه ثمَّ تمنَّد في طرابلس (١

(١ راجع المشرق ٣: ١٠٠٢ وكتاب الاب نو Opuscules maronites II, 49 seqq.

وصار بطريركاً دخيلاً على انطاكية وتفانى في نشر الشيعة الاوطاخية. لكن الله اقام لدينه الحقّ محامين يدافعون عنهُ لاسيما في عداد الرهبان. والكنيستان الشرقية والغربية تحتفلان في ٣١ تموز بعيد ٣٥٠ راهباً قُتلوا في سبيل الايمان سنة ٥١٧. كان المبتدعون كسّروا لهم يوماً وهم سائرون الى كنيسة القديس سمعان العمودي التي موقعها في جبل بركات شماليّ غربي حلب. وقد ذكرناهم هنا لانّ اللبنانيين يقيمون لهم عيداً حافلاً ولو كان استشهادهم قد جرى خارجاً عن لبنان وعن فينيقية. وانّنا اصلهم كان من ولاية سوريّة الثانية التي حاضرتها افامية (قلعة المضيق) وموقعها شمالي فينيقية لبنان. امّا فينيقية لبنان هذه فقد سبق ان حاضرتها كانت مدينة حمص وانّها تشمل قسماً من لبنان الشرقي ومعظمها داخل في فينيقية الساحلية

وكان هؤلاء الشهداء ينتمون الى دير مار مارون. وكان هذا الدير مبنياً في جوار افامية في وادي نهر العاصي (١. قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص ١٦٣) يعرّف موقعهُ انهُ: « شرقي حماة وشيزَر ذو بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان وكان فيهِ من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن ..... وهو بقرب من نهر الأرنط نهر حمص وانطاكية ». ولدينا العريضة اليونانية التي ارسلها رهبان هذا الدير للبابا هرمزداس يخبرونهُ باستشهاد اخوانهم ووقّعوا عليها بما نصّهُ: « نحن الحقراء الارشيمندريين ورهبان سوريا الثانية ». امّا رئيسهم فقد وقّع الرقيم كاتباً: « انا ارشيمندريت مار مارون ». فممّا سبق ترى ما كان لهذا الدير من الخطورة والشأن وعدد الرهبان. امّا الاسباب التي حملت المؤرخين على اكرام هؤلاء الشهداء فهي ثلاثة ذكرها صاحب مروج الاخبار: « اولاً لانّ اكبر اديار هؤلاء الشهداء الطوباويين كان معروفاً باسم القديس مارون وارشيمندريت الدير هذا كان اسمهُ اسكندر وهو اوّل من امضى الرسالة التي رُفعت الى البابا هرمزداس القديس. ثانياً لانّ كثيرين من هؤلاء القديسين كانوا يتشجّعون على الثبات في الايمان والاستشهاد امام ذخيرة هامة القديس مارون الثمينة التي كانت بهذا الدير. وثالثاً بما انّ هؤلاء الرهبان القديسين كانوا اشجع المناضلين عن الايمان الكاثوليكي الذي يغار لهُ المؤرخون غيرةً لانهم كانوا

١) راجع كتاب الاب نو السابق ذكره (ج ٢ ص ٢٢)

خاضعين اتمّ الخضوع لكرسي حامة الرسل. والطائفة المارونية تفتخر بانهـا تقتفي آثارهم في ذلك »

وقبل ذلك بزمن قليـل (سنة ٥١١) كان الملك انستاس طرد من القسطنطينية عددًا غفيرًا من الراهبات المستقيمات الايمان فقصدنَ لبنان واتخذنَهُ لهنَّ سكنًا وعطَّرنَهُ بعرف فضائلهنَّ. وفي اختيارهنَّ لبنـان للعزلة دليل على انَّ اهلهُ كانوا يوذلون الشيمة الاوطاخية

والارجح انَّ كنيسة دير برفيريون (اليوم بوجا او النبي يونس) بُنيت في ذلك القرن السادس. وكذلك كنيسة القديس فوقا على مشارف الجبـل (١. وقد ورد ذكر هاتين الكنيستين في تاريخ الابنية للمؤرخ بروكوب. وكان بانيهما الملك يوستنيان الذي اشتهر بغيرتهِ على بناء الكنائس. وليس بمستبعد انَّ اقدم كنائس لبنان المعروفة اليوم تشيَّدت في عهده او على يد المهندسين الذين جروا على طريقة بنائهِ. مثال ذلك كنيستا اهدن وكفر شليان اللتـان تشبهان كل انشبه الكنائس البوزنطية المنسوبة الى هذا الملك. ولعلَّ كنيسة حدتون المهدومة التي ذكرناها في المشرق (٣: ١٠٢٢ و ١٠٢٦) من هذا القبيل فيكون بناؤها سبق دخول الموارنة في لبنان. لنا في تأييد قولنا بعض الحجج منها وجود كتابتين يونانيَّتين الواحدة اكتشفها وينـان واكثر حروفها مطموسة والاخرى وقف عليها الفقير كاتب هذه الاسطر (٢ وفي كلتيهما ما يشير الى قدم هذه الكنيسة. ومنها الطرز الهندسي والنقوش وضروب الفسيفساء. فانَّ كلَّ ذلك يلمع الى عهد يوستنيان

فترى مما تقدَّم انَّ النصرانية في القرن السادس لاسيما اواخرهُ لم تملك فقط في المدن الساحلية بل بان شأوها على كل اخصامها في لبنان. وكانت مدينة بيروت حافلة بالكنائس (٣ راعاها معتصمين بحبال الدين. وكذلك تفيدنا ترجمة البطريرك ساويروس السريانية ان العاصمة اللبنانية المجاورة لبيروت كانت مستوثقة بعروة الدين. وهناك اشتهر احد الرهبان العامودين الذي كان يسكن في قرية قريبة من البلدة لم يُذكر اسمها. وكان هذا

---

١) راجع بروكوب (ك ٥ ع ٩). على ان بروكوب بقوله « مشارف الجبل » لم يذكر لبنان وانما يؤخذ ذلك من قرينة كلامهِ لانهُ ذكر الجبل بعد ذكر برفيريون والساحل الفينيقي

٢) راجع مجلة الشرق المسيحي ١٨٩٩ ص ٥٦٥ , ٥٦٩ ٣) راجع المشرق ٣: ١٠٠٤

الراهب شديد التمسّك بالدين الاورثذكسي يدافع عن الايمان الكاثوليكي مدافعة الشهام. ومما روي عنهُ انّ بعض اشياع اوطيخا من الطلبة الذين اتوا من الاسكندريّة الى بيروت ليدرسوا الفقه زاروهُ يوماً فلامهم عن تشبّثهم بتعاليم الهراطقة. وفي خبر هذه الواقعة ما يُشعر بانّ البشيعة اليعقوبية لم تُنفرد بعدُ لاصحابها كنيسةً في بيروت

ومن الشواهد اللامعة الدالّة على انتشار النصرانية في لبنان العيد الحافل الذي أُقيم فيهِ لمّا عاد هرقل ظافرًا ومعهُ الصليب المقدس الذي انقذهُ من يد الفرس. فأقيم في لبنان حفلات بهيجة جعلها اللبنانيون سنّةً لهم يعيدون ذكرها في كلّ عام في ١٤ ايلول

الّا انّ هرقل الملك كفّ شيئاً من بهاء انتصارهِ بما اعارهُ من المساعدة لهرطقة المونوتليتيين اي القائلين بالمشيئة الواحدة في المسيح. فكانت هذه المخافرة الملكيّة سبباً لفشوّ هذه البدعة في سوريّة وخصوصاً في وادي العاصي. لكنّ هذا الوباء لم يَسْرِ حتى لبنان وكفاهُ بذلك شرفاً

وممّن تصدّوا لهذه العدوى القديس صوفرونيوس الدمشقيّ الاصل بطريرك اورشليم. وقد زعم البعض انهُ وُلد في لبنان في قرية بسري. وهو قول تردهُ الادلّة العديدة كالميناون والبولنديين (في تاريخ ١١ اذار) بل يفندهُ القديس صوفرونيوس نفسهُ في قصيدة لهُ وردت في مجموع اعمال الآباء (مين ج ٨٧ ص ٣٤٢١) قال عن نفسه انهُ من مدينة دمشق التي تكلّلها قممُ لبنان (Λιβανοστέφανος) فقاوم هذا الاب القديس الجليل الشيعة المونوتليتيّة التي جعلت الدولة اليونانية على قاب قوسين من هلاكها في سوريّة. لكنّ الله كفى لبنان شرّها وجعل منذ ذاك هذا الجبل معتصماً لاذت باهدابهِ الديانة الكاثوليكية الى يومنا (ستأتي البقيّة)

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب الفاضل الخوري يوسف تاتي الماروني
(لاحق بسابق. راجع المشرق ٣: ٥٨٦)

في ألعاب الاحداث

لأحداث اهل لبنان عدّة ألعاب ترى البعض منها شائعاً في بلاد غير بلادنا والبعض

١) مجلّة الشرق المسيحي ١٨٩٨ ص ٣٨٠

الآخر تغرّد بهـا صغارنا وهي تنبئ على طباعهم. وقد احسن من قال انّ لا شيء يعرّف ما يكون عليه الولد من السجايا والخصال في مستقبل الأيام كما يدلّ عليه اللعب اذ هو يسترسل الى ملذّاته وينهمك في ملاهيه التي تروق له

١ (الركوب على العصا) هي لعبة شائعة في اربع خوافق المعمور. ذكرها الشاعر اللاتيني (١ كالياه كان يرتاح اليها اطفال الرومان. ولعلّ احداث لبنان أولع بهذا اللعب من غيرهم لكثرة القصب في بلادنا وربّما اخذوا لذلك « شلح قرع » اي عرفه لطوله. فترى الصغير يركب جواده كالفارس المغوار ولا يبرح سائرًا في طريقه وهو يركض فرسه بتوديها بيمينه ويستحثّها بعصاه الى ان تخور قواه او يتحطّم مركوبه فيكفّ عن السير بعد ان راض جسمه احسن رياضة

٢ (الجمال) هو لعبٌ رأيته للاولاد في بعض القرى. يعمدون الى حجر يشبه اعلاه سنام الجمل فيربطونه ويجرّونه وراءهم بجلبة عظيمة حتى ينتهوا الى بيت صغير بنوه من الحجارة واللاط فيُدخلون فيه جملهم ليبيت فيه. ولذلك دعوا هـذا اللعب بالجمال. والجمال عندهم لعبٌ آخر ايضًا وهو ان يحني احدهم ظهره فيطفر عليه رفقته ولا يزال ينهض الى ان ينتصب تمامًا فيقفز عليه الآخرون او يعجزون عن الوثوب فيحنون ظهرهم بدله

٣ (الدوش) ومن العابهم الشائعة الدوش (٢ وكان قدماء العرب يدعونه الطّشّ (palet). والدّوش عبارة عن حجر مستدير يرمون به حجرًا آخر كرويًا كالليمونة يسمّونه النُكرة. وكيفيّة لعبهم به ان يجعلوا النُكرة في موضع معلوم ثمّ يرمي كل واحد من اللاعبين دوشه اقرب ما امكنه من النكرة. فالذي زاد اقترابًا منها يبدأ بضربها فان اخطأ النكرة ضربها غيره من اللاعبين. وان اصابها فأزالها عن مكانها عدّ مقدار الاقدام التي جرتها النكرة. ثمّ يضربها ثانيةً من الموضع الذي وقف فيه بعد ضرب دوشه ادواش اللاعبين ولا يزال يعدّ قدر الأقدام الى ان « يُفطم » اي يخطئ النكرة فيصير الدور الى غيره او يبلغ عددًا من الأقدام معيّنًا بها ينتهي « الدقّ ». ويكرّرون ذلك ما شاؤوا

---

١) راجع شعر هوراس: (Equitare arundine longa, H. II, S. 3, 246)

٢) الدوش كلمة طيّبة نرجّح ان اصلها من السريانية دُحّ اي داس ووطئ. يؤيد ذلك مثل يقولهُ العامّة: لا تأخذ الدنيا دَوْش. اي لا تعبث بالامور كمن لا يبالي ان تدوس قدمهُ

٤ (الكعاب) للعب الكعاب (ossclets) طرائق كثيرة. منها « القلبة » وهي ان يرمي اللاعب في قلب كعب رفيقه من وجه الى آخر فان فعل كان هو الرابح. و « الأشطبا » لعبة تُضرب فيها كعاب مصفوفة فاذا قذف اللاعب احدها الى مسافة اقدام معلومة كان الفائز. و « الخيطا » او الخوطا » (١ يفوز فيها من اخرج كعابَ رفاقه كعباً كعباً من دائرة يخطونها في الارض

ولأوجه الكعاب عندهم اسماء معروفة فيسمون الرأس « سلطانا » وعكسه « قيطا » وجانبه المقرّر « جورا » والمحدّب « ظهرا ». ومن اصطلاحاتهم انّ اللاعبين اذا سرّ بهم ولد لا يشاركهم في اللعب يقولون لهُ « جُورك » يتعونهُ بذلك ان « ينتش » الكعاب فيذهب بها

٥ (الطقّة والابرة) ومن العابهم الطقّة والابرة. وطريقتها ان يأخذ احدهم عودًا صغيرًا يدعونهُ « ابرة » ويركز طرفيه على حجرين ثم يقذفهُ بعصاً يدعى طقّة ابعد ما امكنهُ. فيتلقّاهُ لاعبٌ آخر فيرمي به نحو الحجرَين فاذا سقطت الابرة بتربيعها على مسافة اقصر من الطقّة ربح والّا قاس الضارب المسافة من الحجرين الى الابرة ثمّ ضربها ثانية على احد طرفيها فترتفع فيقذفها بالطقة وهلمّ جرًّا. وعلى صاحب الطقة ان يردّ الابرة بعصاهُ عند ما يحاول اللاعب الاخر ان يرميها عند الحجرين. وللصغار كلمات مضحكة اصطلحوا عليها في لعبهم فيقولون: « طقة تبري. ثنتين تجري. ثلثة تسقط. حدّها يلقط خرم الابرة ». هذا الى الخمسة ثمّ يستعملون الاعداد المعروفة من الخمسة فما زاد ومنهم من يبدل اسم الاعداد باسماء الشهور والاثمار فيقولون: « تموز تشرين. ايش تأكل العنب والتين الخ ». وهذا النمط الاخير أنسهُ اولاد البقاع حيث تكثر الاثمار المشهورة بجودتها

٦ (الخواتم) ولهم لعبٌ يقال لهُ الخواتم. وذلك انهم يختارون لهم بينهم ولدًا شديد الساعد جريّ الفؤاد يدعونهُ « أمًّا » ويعهدون اليهِ القيام بحاجاتهم كالامّ تُعنى بحاجات اولادها. ثمّ يختارون ولدًا آخر يجعلونهُ بيّاعًا ويحتالونهُ سلّة يملأونها خرقًا وحجارة وغير ذلك من رذالة المتاع فيمشي وهو ينادي: « خواتم خواتم » فيجتمع اليهِ الاولاد ويصرخون الى امهم: « يا امي بدّي خاتم ». فيأتي البيّاع وتشرع الام تساومهُ ثمن الخواتم

١) من السريانية شمّها اي دائرة

وتشتري لكلّ ولد خاتماً. فاذا انتهى يطلب البائع حقّهُ فتسوّفه اداءَ حقّهِ وتماطلهُ تارةً بحجّة وتارةً باخرى الى ان تفرغ كنانة حيلها. فاذا لم تستطع الاحتجاج جاءت بنكران الحقوق رابت الدفع. فحينئذٍ يرفع الاولاد بمقيتهم ويصرخون: « معنا معنا (اي دراهم) وما نعطي » فيحاول البيّاع ان يمسكهم فيلتجئون الى ذرى امهم فتحامي عنهم. والبياع لا يزال يدور حولهم حتى يمسكهم واحداً واحداً ولا ينجون من مخالبهِ حتى يغرموهُ مبلغاً من النقود على زعمهم وهي حصى يجرّشونها من الارض

٧ (اللاقوط) وبعضهم يدعوهُ اللاقوش لعب تختلف انواعهُ في كل جهة من جهات لبنان. ومجمل ما يقال فيهِ انَّ اللاعبين يأخذون لهم عدداً من الحصى يضعونها على الارض الّا حصاةً يقذفها اللاعب الاول في علوٍّ ثم يأخذ بسرعة من الارض احدى حصاها ويلتقف الحصاة الملقاة في الهواء قبل سقوطها وهكذا يفعل بالثانية والثالثة الى ان يأتي عليها جميعاً. وان سقطت منهُ الحصاة المقذوفة عُدَّ خاسراً وصارت النوبة الى آخر — ويكثرون من المصاعب في جمع الحصى فيجمع بعضهم بينها الثنتين والثلاث سويّةً. وربّما اقتضى عليهِ جمعها كلها قبل تلقّي الحصاة المرميّة — ومنهم من يفرض على اللاعب شروطاً مختلفة كما ان يضرب صدرهُ او يبوس يدهُ قبل ان يجمع الحصى ويتلقّف الحصاة المقذوفة. ومنهم من يلتقط الحصى وعلى ظهر يدهِ حصاة يمنعها من ان تسقط على الارض الى غير ذلك ممّا يطول شرحهُ

٨ (الدَّلك) ولكن أحبّ الالعاب الى صغار لبنان لعب الدَّلك. وهما دَلكان دَلكٌ كبير ودَلك صغير. فالكبير هذا نظامهُ: ينقسم الاولاد الى قسمين قسم النازلين وقسم الطالعين. فيجلس الطالعون على حجارة او يتربّعون على الارض الّا واحداً منهم يدعى الحامي فيجدّ في اثر الطالعين ويطاردهم ويحاول ان يأسر ولو واحداً منهم فان امكنهُ ذلك ربح. امّا الطالعون فيهجمون حيناً بعد حين على فرقة النازلين الجالسين على الارض فيضربونهم ولا حقّ لهؤلاء ان يدافعوا عن انفسهم الّا انهم يصرخون: « دَلك دَلك » استغاثةً بالحامي لكي يُسرع فيمسكهم ان امكنهُ. وفي بعض الاحيان يغيّر الطالعون « خُلاسهم » اي زيّهم لئلا يعرفهم النازلون فمنهم من يسوّد وجههُ بالسناج (الشحّار) ومنهم من يقلب ثيابهُ او يلبس قبعة رفاقهِ الى غير ذلك ممّا يحجبهم عن نظر النازلين. وعلى الحامي ان يعرف احداً منهم فاذا عرفهم عُدّوا من الخاسرين. امّا

الدلك الصغير فلا يغيّر الاولاد فيه ازياءهم وانما يكتفون بان يهجموا على النازلين فيضربونهم الى ان يمسكهم المدافع

٩ (العصا والعصيّة) يجتمع زمرة من الاولاد في هذا اللعب ويحفرون عصيّهم على الارض بحيث تبعد الواحدة عن الأخرى قليلاً فيجعل اللاعب يحجل (يحاجج) اي يقفز على رجل واحدة فوق العصي المذكورة دون ان يمسها. فاذا انتهى الى آخرها عاد فطفر حاجلاً بين كل صفّين من العصي فان لم تعثر رجله بواحدة منها ثمّ قفز آخرًا فوقها جميعاً كان الظافر. وان عثرت قضي عليه ان يركز عصاه في الارض فيضرب رفاقهُ عصيّهم اليها ويرشقونها رشق السهام فينكسرونها وربّما يكسرونها. ولكلّ منهم حقّ بان يجرّد عصاه الى عصا المغلوب على عدد الدورات التي لم يدركها الخاسر حاجلاً

١٠ (البِرْكة) هي احدى الألعاب التي يلتذّ بها الصبيان في لبنان فيكثرون منها. واوّل ما يصنعون انهم يقسمون رهطين رهط نازل ورهط طالع. فالنازل يدافع عن « البِرْكة » فهو حجرٌ يجلس عليه احدهم فيجتهد رهط آخر يدعى ظالماً ان يصل الى الجالس ويلطمهُ ويتمالك على الحجر فاذا تمكّن احدهم منهُ كان الغالب هو ورهطهُ. ويجري بين الرهطين هجوم ودفاع يوسر من الفريقين قوم حتى يفوز احدهم بالبركة. اما كيف يوسر الرهط النازل فبأن يمرّ احد الطالعين بينهُ وبين البركة. واذا مرّ بين اثنين او اكثر من النازلين عُدّ الذين عن يمينهِ أسرى فيكفّون عن اللعب. اما الطالعون فإسرهم بان يصفعهم احد النازلين قبل ان يمسّوا البركة او يجتازوا بين اثنين منهم. ولا يزالون على هذا المنوال حتى يفوز الطالعون بالبركة او يؤسَروا جميعاً فتكون الدولة عليهم

١١ (مقرعة الميدان) طريقتها بان يجتمع الاولاد ويقتسموا الى عصابتين. ثم يجعلوا بينهما عصاً يغرزونها في الارض وعلى رأسها خرقة او قبعة (طربوش). فيتقدّم ولد من احد الفريقين وبيده مقرعة فيقول للفريق الآخر: من لها ؟ اي مَن منكم يُقدم الى العصا ويأخذ القبعة التي فوقها ويعود سالماً الى رهطهِ ؟ فيجيب احدهم انا ويسرع الى العصا المركوزة فينزع عنها القبعة ويجدّ في ان يرجع الى قومهِ قبل ان يصفعهُ صاحب المقرعة فان نجا منهُ كان فائزًا والّا تحمّل ألم الصفع الى ان ينضمّ الى رهطهِ. ثمّ يأتي ثانٍ من فرقتهِ ويعرض على آخر من فرقة الاخصام ان ينزع القبعة فيفعل كما فعل الاول وهلمّ جرًّا حتى ينتهي عدد اللاعبين (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي
معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٣

ان معرفة الجميل من اجلّ الفضائل واعلاها والواجب ان تكون منزّهة عن شين المنفعة غير ان الأثرة كثيرًا ما تفسد هذه الفضيلة الحسوبة من اعمال الحاسن البشرية في القلب

ولا ريب ان معرفة الناس امر متعسر لا بل متعذر في ايام الرخاء وامتداد بساط الهناء فاذا اتاك الحظ ووفقك الى الدرجات العالية فلا تنتظر من اكفائك غير المبادرة لقضاء رغائبك والاستعداد للعمل باشارتك. فهل تعذهم في هذا الحال اصدقاء لك وهل تستطيع اعتمادًا على بقاء ولائهم راسخ الاركان وهل يمكنك ان تنتظر منهم معرفة الجميل. كلاَّ ثم كلاَّ لانهُ اذا غفلت عنك السعادة يومًا واشتغل عنك الحظ بغيرك لا ترى من هؤلاء الناس الذين كنت تحسبهم اولياء غير إعراض وصدّ ولو كنت قد اغرقتهم في بحر فواضلك او تعرّضت للاخطار حبًا بهم وما ذلك الّا لأنهم ما عادوا يرجون منك خيرًا كما انك ما عدت اهلًا لتفاتهم واساليب خداعهم. وبناء عليه فهم يتركونك حاملين بجورهم الى اشخاص آخرين

غير ان عبد الله الراعي الذي مرّت عليك حكايته لم يكن من هذا الصنف من الناس فانهُ حالما درى بسجن الاب يوحنا في قصر القليعات طفق يأتي كل صباح فيجلس قريبًا من باب القصر متجسسًا الاخبار عن المحبوس الكريم الذي احسن اليه وبالرغم عن الاهانات والشتائم التي يسمعها من الحراس لم يكن يملّ من الوقوف عند الباب محمولًا على هذا كله بعاطفة معرفة الجميل

غير ان احد الحراس شفق عليه يومًا وقال لهُ: انك تضيع وقتك ايها المسكين عبثًا لان الاب يوحنا ليس هنا

— بحياة ابيك لا تغشني بل قل لي الحقيقة بتمامها

— الامر كما قلت لك بالتمام لان الاب يوحنا ترك القليعات من ايام عديدة

— واين هو الآن ؟

— كذاك سؤلًا فقد اخبرتك بما فوق اللازم . ثم اغلق الباب في وجه الراعي المسكين وهو يقول : ارشك هذا الفلاح الغليظ ان يعرضني الخطر ولكن من حسن الحظ انهُ لم يسعني احد

فلما علم عبد الله ان المحسن اليهِ خرج من القصر رأى من الواجب عليهِ ان يهتم بنجاته من ايدي مضطهديه لاعتقادهِ ان كلّ ما اصاب الاب يوحنا من سخط جوسلين كان بسبب انتصاره لهُ ودفاعه عن حقوقه . فعقد العزم لادراك غايتهِ على خطة صعبة المراس وعرة الملتمس تحول دون البلوغ اليها عوائق واخطار . واهل الراعي المسكين لم يفطن لشيء من ذلك او انهُ فطن ولم يشأ ان يرجع عن مطلبه لانهُ كان يرى اعز شيء لديه السعي في خلاص ذاك الرجل البار الذي اصطنع اليهِ

وكان بعد مدَّة أن انتشر الخبر بين اهالي الناحية بان الاب يوحنا نُقل الى الجانب الثاني من الجبل في جهة مدينة حماة ولم يكن يشقّ على عبد الله ان يشخص الى حماة او الى ابعد منها اذا اقتضت الحاجة غير انهُ لم يكن يعرف المدينة المذكورة بل غاية ما كان يعلم لمَّا كان في قرية مريمين يرعى المواشي عند احد كبار المشايخ النصيريَّة ان هذه المدينة هي على مسيرة يوم من القرية المذكورة

فاذ ذاك حمل عصاه وتناول زوادة من الخبز المرقوق ولفَّها بشديلهِ وتزوَّد بهِ ثم ودَّع امرأته وسار على بركة الله ينشد مطلبه . وكانت امرأته عالمةً بمراده فلم تتعرَّض لهُ وكيف تصدّه وما كان لها ان تنسى انَّها لولا وساطة الاب يوحنا لما نجت من مخالب جوسلين الرجل الشرس

وقد عرَّج عبد الله في سفره على قرى عين الشمس والسنديانة وعين الخلاقين وشميسة وفندارة وكان في كل منها يبحث عن الاب يوحنا بحثًا دقيقًا فكان الكل يجاوبونه بانهم لم يروا لهُ وجهًا . وعلى فرض انهم شاهدوه ما كان احد ليتجرأ على إخباره مخافة ان يعرّض نفسه لسخط جوسلين وعقابه

ولما كان سائرًا في الغابة المتسعة الكائنة بين قريتي بيت الشمس والسنديانة نجا دون ان يعلم من خطر عظيم . فان الغابة المذكورة كانت في القديم كما هي في ايامنا الحاضرة ملجأ للصوص وقطاع الطرق . فبينما هو يمشي في شعب ضيق مترعًا بانشودة

تعلّمها قبلًا من الرعاة النصيريّة دون ان يعرف شيئًا من معناها وهي:

يا خليليّ إن تكون عليلا ظاميّ القلب والفؤاد غليلا
اشرب الخمر انّ فيها شفاء حيث كان مزاجها زنجبيلا
واذا ما شربتها وهي صرفٌ كل داء يعود عنك رحيلا
انّها في كؤوسها تتلالا في الدياجي تعدّها قنديلا
ان موسى الكليم لمّا رآها في دجا اللّيل والركام عطيلا
قال انّي آنستُ جذوة نارٍ جانب الطور في ضياء شعيلا
ايها العاذل البليد فكفّ السلوم عني وأمهلني قليلا
ما ترى الكاس كيف يجلى بجنح م الليل بين الندمان بالترسيلا(١

وكان وراء الاشجار التي على حاشية الطريق نصيريّان من قطاع السبيل يرقبان كل حركة وايديهما على مقابض سيوفهما فلما شاهدا عبد الله قال احدهما لرفيقه:

— ها قد اتانا الصيد

— فقال الآخر انهُ لصيد خفيف لا يستحق ان نبلّ ايدينا بدمه. ولو لم يكن كيسهُ فارغًا لما كنت تراهُ يمشي بطيئًا فرحًا فهو بلا ريب نصراني من رعاة الماشية في هذا الجوار لا يجدينا سلبهُ نفعًا

— هب انهُ كما تقول. فبودّي لو انحرهُ نحرًا مجازاة لهُ على قلة حظنا في هذا اليوم. آه يالهُ يومًا مشؤومًا لم أرَ انحس منهُ قطّ الظهر ولم يمرّ في هذا الطريق احد من المسافرين

— ألا تعلم ان هذا اللعين جوسلين مذ حبس الاب يوحنا دخل الزوّار طريق حصن سليمان. فاذا كنت تريد ان تشفي غليلك من احد فاشفهِ من جوسلين. ولكن.. أنصت...

— ها أنا منصت... انهُ يُغنّي

— الا تسمع كلامهُ؟ اليس هو من شعر مولانا الشيخ الحصيبي او الشيخ صارم؟

— اي والله الحق معك هو أخ لنا.....! وحسنًا فعلتَ بتوقيفي عن إغماد السيف في قلبه ولولا ذلك لكنت قتلتُ ابن ديني وارتكبت المحارم

ثم ان اللصين خرجا من وراء الاشجار فحياهما عبد الله فردّا عليهِ التحيّة وسألاهُ

(١) الباكورة السليمانية (ص ٧٠)

عن المكان الذي يقصدهُ فقال : قرية مريمين لمشاهدة الشيخ خضر

— اذًا تذهب الى العيد ؟

— دون ريب . قال هذا ولم يعلم اي شيء هو العيد المحكي عنهُ ولكن سنرى انهُ سيعلمهُ عن قريب

وفي مساء النهار وصل الى بعرين (١ وهي مدينة صغيرة واقعة في منحدر رابية وفي اعلاها قلعة ضخمة من بناء الصليبيين وفي اسفل القلعة اقبية كثيرة كانت مخصصة بالسجون فدخلها محتجًا بزيارة احد معارفه وبعد ان جال في كل انحائها خرج متأكدًا ان الاب يوحنا غير محبوس فيها . غير انهُ لم يقنط بل استأنف المسير قاصدًا مريمين من امهات قرى النصيرية

١٤

فبعد نزوله من جبل بعرين وصل الى السهل الكائنة فيهِ قرية وافنية التي كانت في ايام الرومانيين بلدة مزهرة ناجحة غير انها اليوم خراب يباب لا يأويها سوى البوم . وفي جنوبيها الغربي سلسلة جبال معتدلة الارتفاع ليس فيها نبتة خضراء يستريح البصر اليها ووراءها قرية الطاعونة يأهلها قوم من الفقراء المناكيد وعندها يتخدد السهل . وكان في تلك الايام قفرًا صامتًا لا يُسمع فيهِ صوت ولا فيهِ ديّار لانَّ ايام الحصاد كانت قد انتهت

والواقف في اول السهل يشاهد من بعيد صفًا من الروابي وهو جبل اللكام ثمَّ صفًا آخر اقلّ ارتفاعًا يدعى جبل الحلو وفي سفحهِ خضرة نضرة تعارض بمنظرها قحولة السهل وتلتذّ العين بمشاهدتها وهي غوطة مريمين التي تُعدّ من اقدم المدن السوريّة وقد ردّد التاريخ ذكرها في القرن الرابع عشر قبل المسيح (٢ . امَّا الآن فصارت مركزًا للزراعة لا يخلو من بعض الاهميّة

وقد وصل اليهِ عبد الله الراعي عند مغيب الشمس ولم يكن في ملابسهِ ولا في منطقهِ شيء يفرقهُ عن النصيريّة فانهُ لكثرة تردّدهِ عليهم كان قد تعلّم لهجتهم وصار يستعمل كل اصطلاحاتهم ويقول مثلهم في كل امر « اي والله ولا والله » . وكثيرًا ما قبل التوبيخات والقوانين الصارمة على هذا القسم الباطل من معرّفهِ الاب جرمانوس

(١ ياقوت والمقريزي الخ (٢ الكتابات المصرية القديمة ، دوشو : رحلة سورية الخ

الساكن في حصن سليمان. وكان يتلقى ذلك كلهُ بخضوع واخبات غير ان العادة السيئة قد تغلّبت عليهِ فعادت فيهِ كطبيعة ثانية بحيث انهُ ما اجتمع مرة مع الرعاة النصيريّة الّا اقبل على الحلف نظيرهم وقد اتصل ايضاً الى معرفة العلامات التي يتعارف بها اهل هذه الشيعة

فلمّا وصل عبد الله في مدخل القرية لاقى ولداً صغيرًا فسألهُ عن الشيخ خضر مولاه السابق فاجابهُ انّ الشيخ قد خرج من منزلهِ للاحتفاء بالعيد

الّا انّ الراعي لم يحترز من هذه الكلمة الاخيرة وظنّ انها تعني احتفالًا اعتياديًا كعرس او نحوه فمن ثمّ شكر الولد النصيري وسار الى الجهة التي دلّهُ عليها

وكان قد دخل الليل وتقنذ واعتكرت الظلمة فضلّ الراعي في طرق القرية وكثيرًا ما زلّت قدمهُ في الوحول واوشك ان يقع في المياه الجارية على جوانب السبيل او في وسطهِ. وتعذّر عليهِ الاستعلام عن مقام الشيخ لان كل البيوت التي مرّ عليها كانت موصدةً لا يظهر فيها نور قنديل حتى يتخيّل من يراها انها مقفرة لا ساكن فيها فاخذهُ العجب من هذا السكوت الغير المألوف في مثل تلك الساعة الغير المتقدّمة من الليل وانتهى بهِ السير اخيرًا الى الطرف الجنوبي من البلدة. وبينما هو يهمّ بان يعود على اعقابهِ راجعاً اذ لمح بيتاً منيرًا كان قد فُتح بابهُ في تلك الساعة لدخول بعض الواردين اليهِ

فقال عبد الله في نفسهِ: قد نجوت والحمد لله من المصاعب فهذا هو «المنزول» دون ريب ابيت فيهِ الليلة وغدًا اسعى في مشاهدة الشيخ خضر. ثم انهُ تقدّم الى ناحية البيت المذكور فلمّا وصل قريباً من الباب تصدى لهُ رجلان من الاشداء متسنّمة الظلام عن مشاهدتها والقى عليهِ احدهما المسائل الآتية:

— شاش عتك كم دور ؟

اما عبد الله فبهت من السؤال المذكور ولجّجهُ ما لبث ان عاد اليهِ الانتباه وفطن انهُ ثانٍ وانّ البيت الذي توهمهُ «منزولًا» هو الخلوة التي يعقد فيها النصيريّة اجتماعاتهم السريّة وان العيد الذي ظنهُ عرساً هو عبارة عن احتفال ديني فتجلّد وعلم انهُ اذا اظهر عدم معرفة فهو مقتول لا محالة لانّ النصيريّة كما هو معروف لا يشفقون على كل

غريب عنهم يحاول كشف اسرار ديانتهم ولذلك تظاهر بكونهِ نصيريًا واجاب على السؤال بقولهِ :

— ستة عشر دورًا

فقال النصيري : ان عطش عمك فمن اين تسقيه ؟

— من عين العلويَّة

— ان ضاع عمك فاين تلاقيه ؟

— بالنسبة

— اربعة واربعتين وثلاثة واثنين وقدرهم مرَّتين في دينك اين ؟

— بالمسافرة (١

ودامت هذه المحاورة بين الاثنين نحوًا من ثلاث دقائق . غير ان عبد الله لمَّا كان قد اظهر في بادئ الامر تردُّدًا رأى الثاني من البوَّابين الذي كان ساكتًا ان الامتحان غير كافٍ فمن ثمَّ القى على عبد الله مسائل أخرى وهي :

لي قريب فهل تعرفهُ ؟

— ما اسمهُ ؟

— اسمهُ الحسين

— هو ابن حمدان بلا ريب

— بل هو الشيخ الحصيبي

ومن حسن حظ عبد الله ان السائل وقف عند هذا الحد ولو انهُ اطال السؤال لانكشف الامر وقُتل الراعي المسكين لا محالة ولذلك سُرّي عنهُ ما اعتراهُ من الغم عند ما اذن لهُ بالدخول قائلًا ادخل الآن ايها الاخ باسم « عين ميم سين » فانهُ ما بقي احد غيرك لاجل الشروع في العيد

وكان عبد الله يعرف ان « عين ميم سين » هي الحروف الابتدائية من اسماء الاقانيم الثلاثة التي يتألَّف منها ثالوث النصيريَّة (٢ . وهب انهُ يجهلها لم يكن ليجترئ في ذلك الظرف الحرج على الاستفهام عنها . غير انهُ كان يسأل نفسهُ كيف تكون خاتمة هذا الحادث معهُ

(١) الباكورة السليمانية ودوسو تاريخ وديانة النصيرية (٢) الباكورة

وفي الوقت نفسهِ فُتح الباب السري ودخل عبد الله الى قاعة فسيحة منارة بعدد من الشموع فرأى النصيريَّة قاعدين الحُبي (عاقدين اليدين فوق الركبتين) وكلهم سكوت وفي آخرهم كان قاعدًا ايضًا مثل قعودهم ثلاثة اشخاص متوشحون بثلابس بيضاء من اقدامهم الى رؤوسهم. وكان هؤلاء الثلاثة لا يتميَّزون فقط بثلابسهم بل ايضًا بضخامة عمائمهم البيضاء بينما ان سائر الحاضرين كانوا جميعًا لابسين كوفيات وعاقدين فوقها العقالات

ونظر عبد الله في الثلاثة المذكورين فرأى ان اوسطهم هو الشيخ خضر الذي كان يقصدهُ فارتعد وارتجف. ثمَّ انَّ الشيخ الحكمي عنهُ ارسل نظرة غضب على عبد الله فزاد عبد الله خوفًا وقال في نفسهِ: الليلة القى منيَّتي هنا. وكان كلما مرَّت دقيقة يتوقَّع ان ينقضَّ عليهِ النصيريَّة ويعاقبوهُ على جسارتهِ. غير انهُ رأى ان لا بدَّ من التجلد فجلس في أخريات النـاس وجعل يرقب بطرف عينهِ حركات الحاضرين ليعمل مثلها

(ستأتي البقية)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت (تتمَّة)

١٢ (مطبعة جمعية الفنون) هذه اوَّل مطبعة اسلامية ظهرت في بيروت وكان متولي انشائها صاحب الفضل والهمَّة سعادتلو عبد القادر افندي قبَّاني في غرَّة ١٢٩٢ه (١٨٧٤) وكان نال امتيازها باسم «مطبعة جمعيَّة الفنون» واستحضر ادوات الطباعة اولًا من لندرة. وفي ربيع الاول سنة ١٢٩٢ اصدر فيها جريدته «ثمرات الفنون» فيكون قد مرَّ عليها اليوم نيف و٢٦ سنة في خدمة الوطن. وفي سنة ١٨٨٩ زاد عليها آلة يصحُّ تدويرها على البخار ابتاعها من الخواجا يرجي الفرزوزي. وقد طُبع في هذه المطبعة بعض تأليفات نسرد اسماء ما نعرف منها على حسب تاريخها:

١ كتاب الهداء لتعليم الاطفال للسيد عبد القادر افندي قباني . (طُبع مراراً ١٢٩٣ . و١٢٩٧الخ . ص ٦٤) = ٢ كتاب المبادئ لتمرين الاطفال (طُبع مراراً . طبعتُ السابعة ١٣٠٦ . ص ١١٣ . الثامنة ١٣١٠ . ص ١٥٥) = ٣ كشف الارب عن سرّ الادب . نظم الشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٢٩٣ . ص ٦٥) = ٤ كتاب اطراق الذهب في المواعظ والخطب لجار الله الزمخشري مع شرحهِ للسيد الشيخ يوسف افندي الاسير (١٢٩٣ . ص ٧٢) = ٥ ديوان البستي (١٢٩٤ . ص ٨٥) = ٦ كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين ابي الفتح ابن الاثير (١٢٩٨ ص ١١٤) = ٧ ابداع الابداء فتح أبواب البناء للشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٢٩٩ ص ١٢٥) = ٨ ديوان ابن الفيه (١٢٩٩ . ص ٩٠) = ٩ ديوان ابي نواس (١٣٠١ . ص ٥٢) = ١٠ ديوان اشعار الجامعة (١٨٨٩ . ص ٢٥٠) = ١١ رواية بريطانيكوس عرَّبها جرجس افندي لبط (١٨٨٩ . ص ٩٦) . الى غير ذلك من الكتب العلميَّة والادارية والقوانين والمقامات

وهذه المطبعة صارت اليوم الى يد يوسف صادر ودخلت في جملة ادوات مطبعتهِ المعروفة بالعلميَّة التي سرَ ذكرها

١٣ (مطبعة بيروت) انشأها سنة ١٨٨٥ جناب الاديب الهمام عزتلو محمَّد رشيد افندي الدنا . وابتاع ادواتها من مطبعتنا الكاثوليكيَّة . وفي آذار من سنة ١٨٨٦ اصدر جريدة « بيروت » وكانت تبرز مرَّتين في الاسبوع يوم الاثنين والاربعاء . وهي الان تصدر مرَّة واحدة يوم الاثنين يحررها سليم افندي عبَّاس الشلفون . ثمَّ اقتنى صاحب هذه المطبعة مكبَّ الحروف الاسلامبولية وقد نشر بعض الكتب المفيدة هذه اسماء ما وقفنا عليه منها حسب تاريخ نشرها :

١ مختصر في الجغرافية لعطى الله فارس ابي حلقة (١٣٠٦–١٨٩٠ . ص٢٢٦) = ٢ هداية السائل الى انشاء الرسائل للسيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣٠٦ . ص ٢٠٨) = ٣ الاجوبة الجليَّة في الاصول الصرفيَّة لمحمد بك تاجوق (طبعة ثانية ١٨٩١ . ص ٦٦) = ٤ ديوان ناصح الدين الارَّجاني صحَّحهُ وفسَّر الفاظهُ احمد بن عبَّاس الازهري (١٣٠٧ . ص ٤٥٢) = ٥ كلمات في علم الروايات لحكمت شريف = ٦ تاريخ دولتلو جودت باشا . مترجم عن التركيَّة (المجلَّد الاول ١٣٠٨ . ص ١٤ + ٤١٢) = ٧ هداية الامم وينبوع الآداب والحكم لعزتلو عبد الرحمان تاجم افندي (١٣٠٨ . ص٧ + ٥٨٤) = ٨ بغية المشتاق لتهذيب الاخلاق لشان بن احمد السُبلي (ص ٢٢) = ٩ كتاب البسط الوافر في حساب التاجر للسيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣٠٨ و ١٣١٠ . ص ٨ + ١٤٠) = ١٠ البديعيَّة المسمَّاة ترجمان الضمير للحاج عبد القادر افندي الحنفي (١٣٠٩ . ص١٦) = ١١ ديوان خطب ابن نباتة مع شرحهِ للشيخ طاهر افندي الجزائري (١٣١١ . ص ٨ + ٥٢٨)

١٤ (مطبعة الولاية الرسمية) كان انشاء هذه المطبعة بعد مطبعة بيروت بزمن قليل في اواخر سنة ١٨٨٥. واصل ادواتها من باريس. امّا احرفها فمنها قسم صُبّ في مسكبنا وقسمٌ آخر استجلبتهُ الولاية النخيمة من الاستانة والنقوش وخلافها من المانيا. وفي هذه المطبعة تُنشر جريدة «بيروت الرسمية» كان اوّل ظهورها سنة ١٨٨٨ وهي قسمان قسمٌ تركي وقسمٌ عربي. وفي هذه المطبعة تُطبع اوراق النظامات والشروط والامتيازات ودفاتر الحكومة والاوراق الرسمية الى غير ذلك كاوراق التجارة وما شاكلها

١٥ (مطبعة الآداب) مرّ على هذه المطبعة عشر سنوات بنيّف. انشأها سنة ١٨٩٠ الاخوان الاديبان امين افندي الخوري وشقيقهُ خليل افندي صاحب المكتبة الجامعة. اشتريا ادوات المطبعة اللبنانية لجرجي افندي الغرزوزي مع حروفها سنة ١٨٨٩ واضافا اليها آلة مطبعة المعارف التي يحكن تحريكها بالبخار وآلة ثانية باريسيّة كثيرة السرعة للاشغال التجارية. واتسع نطاق هذه المطبعة حتى بلغ مدّةً عددُ عملتها ٢٧ عاملاً وفيها طُبعت اوّلاً جريدة الاحوال (١٨٩١ — ١٨٩٣) وكانت تصدر مرّتين في الاسبوع ثمّ صارت يوميّة كما سيأتي في ذكر مطبعة الفوائد. امّا احرفها فمن مسكب المطبعة الادبية لخليل افندي سركيس. وفي سنة ١٨٩٨ قُسمت المطبعة قسمين نُقل احدهما الى الاسكندرية وبقي الثاني في بيروت. وكلتاهما تُعرف باسم مطبعة الآداب. وقد نُشرت في هذه المطبعة كتب عديدة اكثرها روايات وقصص نذكر منها ما نرى في ذكرهِ فائدة. وهي بنفقة صاحب المكتبة الجامعة وتُطلب منهُ:

١ انشاء المكاتيب بالدربي لامين افندي الخوري (١٨٨٩. طبعتهُ السادسة ١٨٩٨. ص١٩٢) = ٢ مختصرهُ (ص ٦٤) = ٣ المبتكر او انشاء المكاتيب فرنسويّ وعربي لهُ (١٨٨٩. ص ٢٧٢) = ٤ جامعة الآداب لهُ (١٨٨٩. ص٦٦) = ٥ مبادئ القراءة الفرنسويّة بصور لهُ (طبعتهُ الرابعة ١٨٩٧. ص ٦٦. وهو الان يُنقّص في مطبعتنا) = ٥ غيرهُ اوسع وأعلى طبقة ص(١٣٦) = ٦ تلماك بالفرنسويّ مع قاموس صغير (ص ٢٢٠) = ٧ مختصر الفراطيق الفرنسوي للمعلم يوسف افندي حرفوش (طبعتهُ الثالثة ١٨٩٨. ص ١٠٨) = ٨ رياض الالباب في رياض الحساب لامين افندي الخوري (طبعتهُ الثالثة ١٨٩٢. ص ٦٤) = ٩ فردوس السرور لانشراح الصدور لهُ (اربعة اجزاء. ص ١٩٢) = ١٠ الجامعة او دليل بيروت (١٨٨٨—١٨٩١. طُبعت في المطبعة الادبية اولاً ثمّ في مطبعة الآداب) = ١١ كتاب الاجرومية مع اعرابها (طبعة ثانية ١٨٩١. ص ٩٦) = ١٢ النفحة العطريّة في حالتا الطبيّة لبشاره افندي زلزل (١٨٩١. ص ٤٠) = ١٣ تعليم مبادئ القراءة (١٨٩٢. ص ٢٢) = ١٥ عشيّة الاحد (١٨٩٢. ص ٢٣) = ١٦ كتاب

الزبور الاهي (ص ٢٥٦) = ١٧ ديوان صفي الدين الحلي (١٨٩٣. ص ٥٢٨) = ١٨ الدلالة في علم المنطق لاحمد الشنطلي البيروتي (١٣٠٧. ص ٢٦) = ١٩ جلاء الغامض في شرح ديوان الغارض بقلم امين افندي الخوري طُبع في المطبعة الادبية ١٨٨٦ و ١٨٨٨. ثم في مطبعة الآداب (١٨٩٤. ص ٢٤٦) = ٢٠ جامعة القوانين المدنية (١٨٨٩–١٨٩٣. ص نحو ١٠٠٠ تتضمن القانون الاساسي والمحاكمات الحزائية وقانون الجزاء العثماني ونظام البوليس واصول المحاكمات الحقوقية ونظام الاجراء وتعريفة الرسوم والسندة وقوانين التجارة والبلدية والاراضي ونظام لبنان الخ وكل جزء يباع ايضاً على حدة) = ٢١ قصة علي الزنبق (١٨٩٠–١٨٩٩. ص ٤٨٠) = ٢٢ كتاب سيرة بني هلال (١٨٩٤–١٩٠٠. اجزاؤها ٢١ وصفحاتها نحو ١٤٠٠) = ٢٣ رحلة بني هلال (١٨٩٤–١٨٩٨. اجزاؤها ١٥. ص نحو ٨٠٠٠) = ٢٤ سيرة عنتر بن شدّاد (ستة اجزاء ١٨٩٣–١٩٠١. ص نحو ٣٠٠٠) = ٢٥ ديوان عنتر (طبعة الثالثة ١٨٩٨. ص ٩٦) = ٢٥ قصة الزير (١٨٩٤–١٨٩٨. ص ٢٧٢) = ٢٦ ديوان الزير (ص ١٥٢) = ٢٧ قصة مجنون ليلى (ص ٦٤) = ٢٨ رفيق الشاني وهو قاموس تركي وفارسي وعربي (ص ٢٢٦) = ٢٩ كتر اللغة الشانية (١٨٩٧. ص ١٢٦) = ٣٠ كتاب مطابقة العلم لسفر التكوين للقس ميخائيل شحود الروحي الكاثوليكي (ص ١٢٤) = ٣١ اظل الوارف في معرض العلوم والمعارف لهُ (ص ٢٦٨) = ٣٢ مختصر التعليم المسيحي (١٨٩٧. ص ٦٤) = ٣٣ مختصر التعليم المسيحي للاباء اللازريين (ص ١٦٠) = ٣٤ كتاب مائة حكاية بالفرنسوي والعربي (ص ٨٢) = ٣٥ المعاملات القانونية (ص ٦٤)

وقد ظهر في هذه المطبعة غير ذلك من رسالات علمية كرسالة في الاقتصاد لامين افندي الخوري ورسالة في الهواء الاصفر للدكتور ب. زلزل ورسالة في الفوطوغرافيا وطُرفة الطرف لخليل افندي زينية وروزنامة سنوية ١٨٩٠–١٩٠١ مع روايات سرّية عن الفرنسية كسيروبا والفتى المهاجر للخوري ميخائيل دلّال وقصص عديدة يبلغ مجموعها نحو الثلاثين لا طائل في ذكرها

١٦ (مطبعة الفوائد) أسسها صاحبها الفاضل خليل افندي البدوي سنة ١٨٩١ نسبة للجريدة التي احرز امتيازها بهذا الاسم عام ١٨٩٠ وفيها تطبع جريدة الاحوال التي كانت منذ تشرين الاول سنة ١٨٩١ تصدر مرّتين في الاسبوع ثم صارت تصدر يومياً في عام ١٨٩٣ ولا تزال يوميّة حتى اليوم وهي اوّل جريدة يوميّة في سوريّة « بارادة سنية » ويصدر منها ايضاً عدد اسبوعي كبير يوم الاحد جامع لخلاصة اخبار الاحوال اليوميّة

ويُطبع فيها مجلة شهريّة اسمها الرئيس لصاحبها ومحرّر علميّاتها الدكتور لويس الحاتن والاستاذ ابرهيم افندي الحوراني. وتصدر منها ايضاً نشرة سنويّة باسم يوميّة الاحوال مشتملة على ذهاء اربعانة صفحة توزّع هديّة في رأس السنة لجميع المشتركين.

وفيها محرك غازي لتحريك آلاتها وهي اوّل مطبعة في سورية اقتنت محركاً بالغاز لترويج اشغالها وتطبع جميع انواع الكتب والاوراق التجارية باللغات العربية والتركية والفارسية واليونانية والفرنسوية وسائر اللغات الزنجية. وهي تصب الحروف في مصبها الخاص منذ سنة ١٨٩٦

وفي العام الماضي انشأ صاحبها بناية فخيمة على شارع المرفإ الكبير ذات اربع طبقات بديعة الهندسة يقال انها كلفتهُ نيفاً وستة آلاف ليرة اقام فيها المطبعة وادارة الجريدة وهذه صورة واجهتها الشرقية

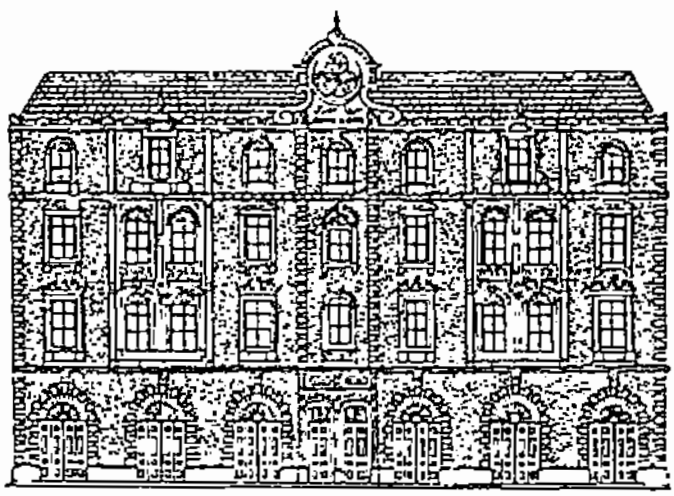

بناية جريدة الاحوال Établissemants du journal ALAHWAL

امّا اخصّ المطبوعات التي نُشرت في هذه المطبعة فدونك اسماءها مسرودةً على ترتيب السنين :

١ رواية شيطان المال معرّبة بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩١. ص ١٨٠) = ٢ رواية الفتاة السيبرية تعريبهُ (١٨٩٢. ص ٨٠) = ٣ تاريخ بابل واشور تأليف جيمس افندي غله مدوَّر (١٨٩٣. ص ١٢٨) = ٤ رواية مرآة الشهامة تعريب امين افندي الحلبي (١٨٩٤. ص ١٨٤) = ٥ رواية جزاء الغادر ورواية النقيد الموجود تعريبهُ (١٨٩٥) = ٦ رواية خطف الابنتين بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩٦. ص ٢٢٤) = ٧ الدرجات المدرسية في تعليم اللغة الفرنسوية لهُ (١٨٩٦. جزءان ص ١٠١ و ١٠٢) = ٨ سيل الصلاح للسيد الجليل جرمانوس مقدَّد مطران اللاذقية (١٨٩٦. ص ١٠٣) = ٩ لورد وفاقا لسيادته (١٨٩٦. ص ٩٦) = ١٠ زاد العابد مشتمل على صلوات تقال في مدارس السالسيان (١٨٩٦. ص ٩٥) = ١١ الحق الوضاح

في الحواب على المصباح للسيد ثاوفيلوس اطون قدلفت (١٨٩٦. ص ٢١) = ١٢ رواية وردة الربيع بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩٧. ص ٢٠٤) = ١٣ البراس لسامع الناس حسب الطقس اليوناني باللغتين العربية والفرنسوية لهُ (١٨٩٧. ص ٢٥٢) = ١٤ الاكليروجوس مذيلًا بالتقويم الكنسي لمعرفة الاناجيل والرسائل والالحان (١٨٩٧. ص ٢٩٢) = ١٥ كتاب علم حفظ الصحة مزين بصور تأليف الدكتور امين افندي المسيل جزء اول (١٨٩٧. ص٢٨٤) = ١٦ سجلات تدون بها اسماء المتسببين والمتزوجين والمتوفين ضبطًا للتواريخ وضع خليل افندي البدوي (١٨٩٧ كل سجل ص١٠٠) = ١٧ طريقة جديدة لتعليم مبادئ اللغة اليونانية لهُ (١٨٩٨. ص ٢٨) = ١٨ الشعاع الساطع في حرفة الزارع للقس بولس عازار الحلبي (١٨٩٨. ص١٧) = ١٩ علاج مائة البارد للخوري سباسفيان كنيب معرب بقلم الخوري يوحنا الحائك (١٨٩٨. ص ٥٩٢) = ٢٠ شرح مختصر خدمة المذاهر الالهي عن الروسية بقلم السيدة عيمة بتري عبده (١٨٩٨. ص ٢٠) = ٢١ الدليل الى مرادف العامي والدخيل تأليف رشيد افندي عطية (١٨٩٩. ص٢٦٤) = ٢٢ نظامنامه مرفأ بيروت باللغتين الفرنسوية والعربية قطع كبير (١٨٩٩ ص١١) = ٢٣ كراس عن الطاعون في جدة باللغة الفرنسوية تأليف الدكتور فريد بك ابرهيم احد اطباء الحجر الصحي في بيروت = ٢٤ النخبة الهنية في التهاني البطريركية عني بجمعها قيصر افندي يوسف واسكندر افندي الخوري (١٨٩٩. ص٢٢٢) = ٢٥ البديكتاريون يشتمل على ترتيب وطقوس الايام من احد الفصح الى احد جميع القديسين ترجمة جديدة عن الاصل اليوناني لخليل افندي البدوي قطع كبير (١٩٠٠. ص٤١٣) = ٢٦ رواية ابن الغريب لهُ (١٩٠٠ ص٢١٠) = ٢٧ سبت المراسلة تأليف المعلم فارس يوسف انطون الشابي الماروني اللبناني (١٩٠٠ ص١٣٠) = ٢٨ نزهة الالباب في رياض الاداب بالشكل الكامل رتبهُ وطبعهُ خليل افندي البدوي لاجل تقويم القراءة العربية في المدارس الابتدائية (١٩٠٠. ص ٢٠٨). وغير هذه عدة روايات ومناشير وكراريس ومطبوعات مختلفة اضربنا عن ذكرها

١٧ (المطبعة الانسية) تأسست في مدينة بيروت سنة ١٣١٢ هـ(١٨٩٥م). مؤسسها ومدير اشغالها عزتلو محمد سليم افندي الانسي صاحب جريدة "روضة المعارف" وهي تحتوي على مكبس كبير ومطبعة صغيرة لبطاقات الزيارة وغير ذلك. واستعملت من اول امرها الاحرف الاميركانية ثم استحضر مديرها الاديب من مدة اربع سنوات طاقمين من الاحرف الاسلامبولية من معامل دار السعادة العلية ومن باريس الاحرف الافرنسية المختلفة والنقوش المتنوعة. وطبعت هذه المطبعة على نفقتها عدة كتب تصوفية وادبية وقصص تاريخية ودواوين شعرية ولا زال مديرها مجدًا على توسيع نطاقها وتنظيمها واستحضار آلة كبيرة تدور على البخار لرواج الاشغال وسرعة الاعمال وهذه اسماء مطبوعاتها التي نشرتهُ على ذمتها المكتبة الانسية المؤسسة سنة ١٣٠٨

١ البسط الوافر في حساب التاجر تأليف عبد الباسط افندي الانسي (طبعة ثانية ١٣١٠.

ص١٦١) = ٢ ديوان التلعفري المتوفى سنة ٦٧٥–١٢٧٧م (١٣١٠. ص ٧٢) = ٣ ديوان ابن مليك الحموي المتوفى سنة ٩١٧–١٥١٢م (١٣١٢. ص ٢١٠) = ٤ ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الاشواق لابن العربي المتوفى ٦٣٨–١٢٤١م (١٣١٢. ص١٩٧) – ٥ كشف اللثام عن وجه التربة والاستخدام لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٢٧ – ١٤٢٣م (١٣١٢. ص١٦٨) = ٦ ديوان كشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ – ٩٦١م (١٣١٣. ص ١٨٨) = ٧ ديوان النحاس الحلبي المتوفى سنة ١٠٥٢–١٦٤٠ م (١٣١٣. ص ١١٢) = ٨ ديوان المورد العذب السيد عمر الانسي البيروتي المتوفى سنة ١٢٩٣–١٨٧٦م (١٣١٣. ص٢٤٨) = ٩ اطواق الذهب للزمخشري (طبعة ثانية ١٣١٤. ص ١١٢) = ١٠ تأسيس المباني في اللسان الشمالي (تركي وعربي) تأليف عبد الباسط افندي الانسي (طبعة ثانية ١٣١٥. ص ٢٠٨) = ١١ هداية السائل الى انشاء الرسائل له (طبعة ثالثة ١٣١٥. ص ٢٠٨) = ١٢ ديوان الشاعر المجيد بهار الدبلسي (الجزء الاول ١٣١٥. ص ٢٥٣) = ١٣ ديوان ابن سناء المشاطي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦–١٠٧٤م (١٣١٦. ص ١١٦) = ١٤ ديوان ابي المظفر عبد الاحد الابوردي المتوفى سنة ٥٥٧–١١٦٢م (١٣١٧. ص ٢٨٢) = ١٥ ديوان الامامين الوتري والطرانلي (طبعة ثانية ١٣١٧. ص ٦٤) = ١٦ ادب الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب تأليف عبد الباسط افندي الانسي (١٣١٨. ص ٥٥٠)

هذا آخر ما امكننا جمعهُ من تاريخ فن الطباعة في بيروت وقد يوجد ايضاً فيها بعض مطابع تختص بنشر الاوراق التجارية كمطبعة الخواجا جرجي مكرزل يشتغل بها منذ نحو ١٥ سنة ومطبعة الخواجا عيد جدعون ظهرت منذ نحو ١٠ سنين. والمطبعة الكاثوليكية للخواجا ابرهيم التوماني وظهرت من نحو خمس سنوات. ومطبعة الثبات للخواجا اسكندر الخوري وظهرت العام الماضي. وكان لبنكرتن الانكليزي مطبعة ايضاً نشر فيها بعض كتب دينية بروتستانية لا نرى فائدة في ذكرها لعدم رواجها

(ستأتي البقية)

الصفا براكينهُ وكتاباتهُ

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

اذا ما تجاوز السائر الغوطة التي تلوح في خضرة حدائقها النَّاء دمشقُ الفيحاء كانها الدرة المكنونة في الزبرجد وصل بعد مرحلة يوم من جهة الجنوب الشرقي الى كورة غريبة المنظر تُدعى اللَّجا

واللجا عبارة عن سطح مربع الشكل مستطيل تكسيهُ عشرة اميال طولًا في

ستة عرضاً يعلو فوق البقاع المجاورة بعض امتار. امّا اصل هذه الرُّبى فانما هي حُمَمٌ محمورة قذفت بها براكين جبال حوران في سالف الاعصار. ونبات هذا الصقع قليل ليس فيه سوى ما يفي بقوت المواشي. ومن سبر غور هذه التربة وجد سلك موادها البركانية نحو ٢٠٠ متر تحتها الصلصال والمواد الكلسيَّة. وقد عملت في وجهها العوامل الجويَّة فنخرت صخورها وخدَّت فيها الاخاديد وفتحت لنيرانها الباطنيَّة فوهات تدفَّقت منها الحمم وانبعثت الأبخرة. فمن سار في وسطها لا يرى الَّا الثلوج العميقة والوهاد الغامضة والفجاج الضيِّقة تُشرف عليها التلال المتكوِّنة من دُهارة البراكين ولهذه التلال مغاور عديدة وجدها رحبةً تتخطَّاها. ولكثرة مضايق هذه البلاد ومخانقها اتخذها الناس منذ الزمن القديم ملاذاً كانوا يلتجئون اليه من شرّ اعدائهم ولذلك دعوها « اللجا ». ولمَّا قدم قبل ستين سنة ابرهيم باشا بعساكره الى الشام فتح منها ما فتح عاد منكوصاً خائباً لما لقيهُ من المقاومة بازاء هذا الحصن الطبيعي

هذا وان بين تلال اللجا وصخوره فُروجاً فسيحة قد بُنيت فيها القرى وغُرست المزارع والبقول ينال منها سكَّان تلك النواحي بُلغة عيشهم

فاللجا كما ترى لا يعدم ما هو ضروري لقوام الحياة وان كان عيش الاهلين ليس برَغد متمِّم. ولكن ان سرت مبتدئاً شرقيَّ اللجا دائراً حول جبل حوران او جبل الدروز بانت بعد قليل صقعاً لا يجد فيه الانس شيئاً يُمسكون به رمقهم لجدبه وهو القطر المعروف « بدائرة التاول » او « تاول الصفا » وربَّما دُعي « الصفا » اقتصاراً. وهو عبارة عن عدد لا يحصى من التلال القليلة الارتفاع وكلها كارض اللجا المتكوِّنة من الحمم البركانية واذا قابل الناظر بين الكورتين تخيَّل ان تلال الصفا حديثة الانفجار بالنسبة الى اللجا كأن المواد النارية والأبخرة الغازيَّة لم تُشعر باهوالها الَّا منذ عهد قريب فاستحقَّت اسمها الاعجمي المنذر بالويلات ودُعيت « طراخون » (Trachone) اي الارض المستوحشة. وهو الاسم الذي عُرف به اللجا وجبل حوران عند الاقدمين (راجع انجيل مار لوقا ٣ : ١). ومساحة « الدائرة » المذكورة نحو ١٢٠٠ كيلومتر مربَّع تنتصب تلالها المخروطة بنحو ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر فوق بسيط الاصقاع المجاورة التي يبلغ معدَّل ارتفاعها ٥٠٠ متر فوق سطح البحر

وحجارة الصفا سوداء مستديرة الشكل تلمع كالمعدن الذائب. ومن عين فوَّهات

براكينه يخال لهُ انها تقذف حتى الان سيولًا من المواد المصهورة . واذا عبر الراحل من تل الى آخر على قناطر تجمّع بينها ظنّ انّ انهارًا من النيران المتّقدة تسيل من تحته . ونُجمل القول ان منظر هذه البلاد مريع يحسب زائرها انّ نيرانها لم تُطفأ بعد

والصفا قسمان قسم شمالي يُدعى « الفِرِس » وقسم جنوبي خُصّ باسم الصفا . ومن اتى الصفا من الجنوب الشرقي يجتاز وسط معامة كثيرة البقايا البركانيّة تُدعى « الخشبة » مساحتها عدّة كيلومترات . وفي شمالي قسم الصفا الجنوبي جبل يدعى « ابا غانم » لهُ شكل مسنّنة من الحمم تشبه نديف القطن كانها لهيب النار يميل بها الريح . وفي وسط الصفا جبل آخر اسمهُ زُنَيتما او حُنَيتما وهو ايضًا بركان قديم خرب قسم من جوانبه الخارجة فلم يبقَ منهُ الّا مدخنتهُ تسندها بعض السواري المشرفة على هوّة عميقة . وعلى وجهه ترى صفائح من الزجاج وتضاريس من الحمم تنتصب فتزيّنهُ باطرافها المروّسة . وبين الجبلين المذكورين اعني ابا غانم وزنيتما تلّان آخران مخروطا الشكل يدعيان مَراتي وواسط

ومن غريب الامور انّ اغلب فوّهات الصفا البركانيّة لا تنفتح عند قمّتها بل على جوانبها في سَمك التلال . فترى من ثمّ اغوارًا مستديرة الشكل عرضها نحو ٣٠٠ متر في عمق ٢٠ الى ٥٠ مترًا . وبعضها تراها في عزلة عن اخواتها وبعضها متصلة لا يفصل بينها الّا جدران رقيقة من الزجاج الاحمر او الاسود الضارب الى الحمرة . وفي بعض المحالّ ترى للحُمَم اخاديد متوازية طولها بضع مئات من الامتار

وان سأل سائل وهل للحياة من اثر في هذه الانحاء قلنا انّ هذه الارض الجالجا لا تنبت الّا صنفًا من البَهَق الرماديّ اللون تراه يلتصق بالحجارة السوداء وتحسبهُ عن بعدٍ انّهُ منها

الّا انّ في شمالي غربي هذه المقاطعة وفي جنوبها الشرقيّ ترى بعض التلال تنفرج فتنبسط في خلالها بطاح يبذر فيها الاعراب بعض البذور . وقد عملت ايضًا عوامل الطبيعة في هذه الصخور والتلال فتفتّت منها جانب بقوّة الامطار والرياح فسالت دقائقها الى البطائح المنخفضة والقيعان . والمياه تتجمّع في هذا الوطإ فيخصب المكان ويصير منتجعًا للمواشي حتى في ايّام القيظ . امّا في غير هذه البطائح فتنضب المياه بين مسامّ الصخور البركانيّة حتى تبلغ طبقة الصاصال الذي عمل فيه عامل النار فحوّلهُ الى موادّ متبلّورة . وليس مسيل ماء الّا في منعطف الجبل الواقع في شمالي غربي الدائرة في القسم المعروف

حروف الهجاء العربية	حروف لغة بلاد الصفا القديمة
ا	
ب	
ج	
د	
ه	
و	
ز	
ح	
ط	
ي	
ك	
ل	
م	
ن	
س	
ع	
ف	
ص	
ق	
ر	
ش	
ت	
بن	
عل	

امثلة لكتابات الصفا

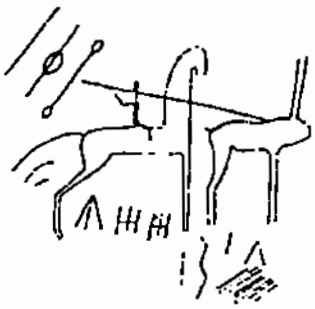

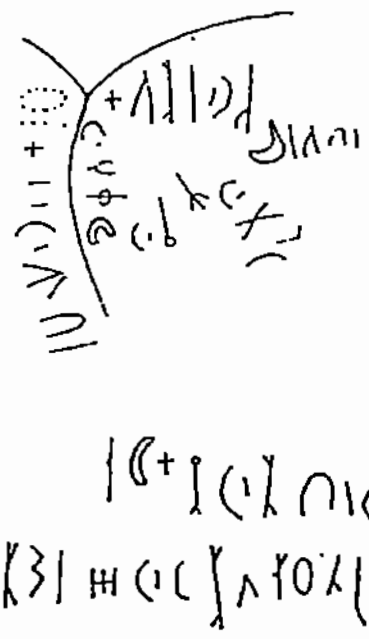

بالضرس. فانَّ هناك غاراً طبيعيًّا وسَّعتهُ يد الانسان يخرج منهُ جدول ماء يقصدهُ اهل البادية وهم يدعونهُ عين ام الثيران

وكذلك ترى في رَدهات الصخور الطبيعيَّة التي سبق ذكرها لاسيَّما في جبل سَيس وقائع اي نقرًا يجتمع فيها الماء في السنين الكثيرة المطر ويتكوَّن منهُ احواض او بُحيرات تدوم اشهرًا وتسقي الوديان فتنعشها وتزكي نباتها وتنوِّرها بالزهور والى هذه الغدران تتقاطر طيور الماء.

واكبر هذه الاحواض اسمهُ الرُّحبة وهو كواش يمتدّ في وسط تلك البلاد المقفرة على مسافة ٢٩ كيلومترًا طولًا في ١٥ عرضًا تجري اليهِ السيول من الرُّبى المجاورة. ولهُ منظر تقرّ لهُ العين لاسيَّما اذا قابلتَ بين ريعهِ والقفر الجدب الذي يكتنفهُ. واهل البدو يزرعون في الرحبة الذرة والشعير والحنطة فتغلّ لهم الغلال الكثيرة في الواحد مئة او ١٢٠. وكان الرومان يعرفون هذه الاماكن الخصبة فاقاموا بقربها قصورًا او حصونًا لردّ غزوات العرب. ومن زار تلك البلاد وجد اخربة هذه البنايات مع عدَّة كتابات نقشها عليها الجنود الرابطون فيها او الاهلون الذين لاذوا بجاهم كما سترى (١

٢

ولكن اذا كانت بلاد الصفا غريبة في تركيبها الجيولوجي يقصدها لذلك السُّيَّاح فانَّها ليست باقلَّ شأنًا من قبيل المعارف اللغويَّة. وذلك انك ترى في عدد لا يُحصى من الصخور البركانيَّة كتابات خُطَّت بقلم مجهول طالما حاول كشف مكنونهِ العلماء الى ان توصَّل العلامة يوسف اللاوي (J. Halévy) الى قراءة حروف هجائهِ منذ نحو عشرين سنة. ولكنَّ مساعيهُ الحسنة لم تقف بتمام المرغوب فلذلك باشر في ربيع سنة ١٨٩٩ عالمان فرنسويَّان فاضلان رحلةً جديدة لفحص تلك الكتابات. فكانت نتيجة سفرهما تأليف كتاب نفيس برز آخرًا الى عالم الوجود فدوَّنا فيهِ ما تيسرت لهما معرفتهُ (٢

---

١) قد نقلنا وصف بلاد الصفا عن كتابنا المخطوط في جغرافية سورية. واستثنأ بكتاب المسيو دوسو الوارد ذكرهُ كما انا راجعنا ما كتبهُ البارون فون اوبنهيم (ج ١ ص ٢١٢–٢٥٢) في رحلتهِ التي عرَّفنا المشرق (٣: ٧١٦) ومقالة الدكتور ستوبل (Stübel) في المجلة ZDPV, XII, p. 255

٢) وهذا اسم الكتاب Voyage archéologique au Ṣafâ et dans le Djabel ed-Drûz par R. Dussaud et Fr. Macler, *Paris* 1901 pp. 227 avec pl. XVI et une carte

امّا موضوع هذه الكتابات فهو يختلف الّا انّ الغالب عليها اسماء اعلام: « فلان ابن فلان ». يتقدّمها اسم رامّ الكتابة " لفلان ». وكثير من هذه الاعلام هي اسماء آلهة قديمة اشهرها الاله « ايل » ثم الاله « سين » وغير اسماء لم يتحقق العلماء صحّتها حتى الآن

امّا حروف لغة الصفا فانّ اشكالها متوسّطة بين لغتي الفينيقيين والحميريين. وخطوط هذه الكتابات غير متقنة تبتدئ سطورها من اليمين الى الشمال ثمّ تعود من الشمال الى اليمين كانّ اصحابها لم يتبعوا في ذلك قانونًا او ارادوا مراعاة تقاطيع الصخور. ومنها ما يصحبهُ تصاوير غريبة في غاية البساطة تمثل فرسانًا برماحهم او ابلًا وغير ذلك (راجع الصفحة ٣٢٨)

وما يحقّ لهُ الاسف انك لا تجد تاريخًا لهذه الآثار وانما يُعلم من شأنها انها لم تسبق اوائل القرن الثاني للمسيح والارجح انها خُطّت في اواسط هذا القرن. ولا يجوز تأخيرها الى ما بعد القرن الرابع لانّ النصرانيّة وقتئذٍ كانت انتشرت في بلاد الصفا ولا تجد في هذه الخطوط شيئًا يُشعر بدين المسيح. فالعلماء يتردّدون اذن في تعريف زمنها بين القرنين الثاني والرابع للميلاد

ولا علاقة بين اصحاب هذه الكتابات وقبائل غسّان التي لم تدخل هذه البلاد الّا بعد ذلك العهد. كما انك لا تجد في هذه الكتابات ال التعريف الذي كان شائعًا في لغة غسّان. وهي ملاحظة تحدو بنا الى تعريف لغة الصفا وكتاباتها

وما تقرّر لدى العلماء انّ هذه اللغة احدى اللهجات العربيّة لها شبه باللغات المستعملة في شمالي جزيرة العرب واكثر الاسماء الواردة في هذه الكتابات تجدها في اللغة العربية « كشقلان ومُناءم واسلم وملك وسعد ومحارب ولبيد ومَعن ». وفيها كما في العربيّة وزن افعل التفضيل وصيغة التصغير وبعض حروف الجرّ كعلى الخ

ومن خواص هذه اللغة ان اداة تعريفها ليست « ال » كالعربيّة بل الها (ה) كالعبرانيّة. وكذلك ترى في لغة الصفا اصولًا ثلاثية لا اثر لها في المعاجم العربيّة. الّا اننا لا يمكننا ان نجزم في حقيقة لغة الصفا حكمًا الى ان يجمع منها العلماء قسمًا اوفر يشتمل على غير الأعلام فيسهل التحري والبحث عنها

وعلى كل حال لا يسعنا الّا الثناء على الكاتبين السابق ذكرهما وهما قد تمكنا بعد

الجهد الجهيد وضروب الاتعاب من جمع ما جمعا وفي كتابهما عدد وافر من هذه الكتابات شرحاها شرحاً مستوفياً واضافا الى ذلك تدوين حروف الهجاء كما نقلناها عنهما (راجع ص٣٢٨) مع رسوم هذه الخطوط كما وجداها في الصخور

اما القسم الثاني من تأليفهما (ص ١٣٧—٢٢٧) فانهُ يتضمَّن كتابات أُخر يونانية ولاتينيَّة ونبطيَّة وقفا عليها في جبل الدروز او جبل حوران ورسما صورها ولهما ايضاً عدَّة تصاوير شمسيَّة بديعة. وفي هذا القسم قد استدركا على العلَّامة وادنغتون في اشياء كثيرة ووفَّرا كثيراً من الكتابات التي اكتشفها هذا العالم الشهير. ومما يؤخذ من مضمون هذه المكتوبات انَّ سكَّان تلك البلاد كانوا من قبائل عربيَّة كما تدل عليهِ اسماء الاعلام المذكورة في هذه الخطوط. فترى من ثمَّ ما يفيد درس الآثار الحجريَّة القديمة وكيف يؤدي بنا الى الاطلاع على تاريخ الاقدمين

ونختم هذه الاسطر شاكرين للمؤلفين مساعيهما ومثنين على الخدم الجليلة التي ادَّياها للعلم بنشر تأليفهما وهما قد تحايدا فيهِ الاوصاف الباطلة والاخبار المشبوهة ليجعلاهُ اثراً علميًّا بحتاً يُرجع اليهِ في تاريخ سوريَّة الشرقيَّة

مطبوعات شرقية جديدة

البنديكستاريون

او طقوس الكنيسة اليونانية من باكر القداس الى آخر جميع القديسين

ترجمة جديدة عن الاصل اليوناني لخليل افندي البدوي (مطبعة الاحوال ١٩٠٠. ص ٢١١)

يسرُّنا ان نرى الكنائس الكاثوليكية تهتمّ بنشر كتبها الطقسيَّة فقد بذلك خللاً عظيماً يؤسف لهُ. والبنديكستاريون الذي نحن بصددهِ كان طُبع سابقاً في مطبعة القبر المقدس الَّا انَّ ترجمتهُ لم تكن مضبوطة فيها من ركاكة العبارة ما لا يخفى على ذي ذوق. فذلك ما حدا بالاديب الهمام جناب خليل افندي البدوي ان يعيد طبعة هذا الكتاب بعد مقابلتهِ على الاصل اليوناني ومعارضتهِ على الترجمات العربيَّة الخطيَّة والمطبوعة التي امكنهُ الحصول عليها. وقد جرَّدهُ عن بعض الاضافات والشروح التي كانت زيدت على الاصل بلا داعٍ صوابي منها ما جاء عن اولاد القديس يوسف وفَّقناهُ

في المشرق (٢ : ١٣١). فنحث اذن اخوتنا الروم الكاثوليك ألّا يعتمدوا في صلواتهم على غير هذه الطبعة الجديدة كما أننا نلتمس من غبطة السيد البطريرك والسادة الاساقفة ان يفرضوا بها في كل كنائس رعاياهم. ولنا الامل الوثيق ان متولي نشر هذا الكتاب يشفعهُ بغيره من الكتب الطقسيَّة ولا يضنّ بشيء من الوسائل ليجعلها مستوفية الشروط من حيث الترجمة واتقان الطبع

Guide de l'arabisant en Algérie et en Tunisie

الدليل لمتعلّم اللغة العربية في المغرب والمملكة التونسية

طُبع في الجزائر في مطبعة جوردان سنة ١٩٠١ ص ٢٢ (القسم الاول)

تشكّلت في مدينة الجزائر لجنة من ادبائها لدرس اللغات العاميَّة الدارجة في المغرب والجزائر تحت نظارة العلامة الشهير ل. ماشويل (L. Machuel) فاهدتنا القسم الاول من الفصول والمقاطيع التي نوت نشرها في اوقات معلومة فتصفّحناها واستحسنا طريقتهُ الموافقة لغرض المقصود اتمّ الموافقة لانها تحتوي صكوكاً وعرائض ورسالات واغاني كما يكتبها الآن اهل تلك البلاد. وقد أضيف اليها ترجمة افرنسيَّة غاية الدقة مع عدة ملاحظات لغويَّة. فنشكر مساعي هذه الجمعية ونتمنى لنشرتها رواجاً عظيماً

ENCHEIRIDION CONFUCIANUM

da D^r G. Gabrieli, Roma. 1901 pp. 218

خلاصة تعليم كونفوشيوس

قد كثر في أيامنا درس كتب الشرق الاقصى. فانَّ العلماء لم يدعوا حالاً من احوال الهنود والصينيين الّا وبحثوا فيها رجاء ان يجدوا شيئاً جديداً يتحفوا به الاوربيين. والدكتور غبرائيلي مولع بدرس آداب الصينيين وديانتهم ذكرنا لهُ سابقاً تأليفاً من هذا القبيل. واليوم قد اهدانا كتاباً آخر جمع فيهِ حكم كونفوشيوس واقوالهُ الشهيرة في الدين والفلسفة والآداب والسياسة والتهذيب جمعها من تآليفهِ التي يتداولها الصينيون وترجمها الى اللغة الايطاليَّة. وقد صدَّر كتابهُ بترجمة هذا الفيلسوف وما ابقى من الآثار بين مواطنيهِ الذين يعبدونهُ عبادتهم لآلهتهم الباطلة. ومن تصفَّح هذا الكتاب يرَ بين اقاويل هذا الفيلسوف وآيات الانجيل بوناً هو ابعد من السماء عن الارض ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ منشور غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي. طُبع في الشرفة سنة ١٩٠١

٢ بومبة الاحوال لسنة ١٩٠١ (راجع المشرق ٣ : ١٠٨)
٣ الروايات التمثيلية . يتولى طبعها يعقوب افندي جمّال في القاهرة
٤ طرف عن الكتائس الشرقية للدكتور غبريلي بالايطالية (١٩٠١ . ص ١٢)

شذرات

رد السهم لم تسنح لنا حتى الآن الفرصة لردّ سهم صوّبهُ الى مدرستنا الكلّيّة صاحب الهلال في عدده الصادر في ١٥ كانون الثاني (ص ٢١٠) نشكا منها أنها تدرّس العلوم العليا كالطبيعيّات والرياضيّات والطبّ بالفرنسيّة لا بالعربيّة . وهي شكاية باطلة لانّ هذه الدروس العليا لا يتعلّمها الّا طلبة استعدّوا لها بالدروس الثانويّة واخص الدروس الثانويّة درس اللغة الفرنسويّة التي توفّرت فيها الوسائل لاتقان هذه العلوم فضلًا عن الترقّي المتداوم فيها كالتآليف العديدة والمجلات العلميّة ومشاهير الاساتذة ممّا تفتقر اليه لغتنا العربيّة . ونشير على المعترض ان يراجع فصلًا مطوّلًا كتبتهُ مجلّةٌ يحبّها الهلال ويطنب في وصفها وهو المقتطف ورد ذلك في سنتهِ التاسعة عشرة (ص ٢١٥) . وفي كلامهِ جواب مقنع لا يبقي شكًّا لمرتاب . ولنا في كلّيّة الاميركان في بيروت والمدارس الاميريّة في مصر مثالٌ باهر على صواب فعلنا فان هذه المدارس بعد ان عنيت هذه العلوم العالية في العربيّة عدلت الى اللغات الاوربيّة لمزيد صلاحيّتها لهذه الدروس . على ان ذلك لا يمنع التبحّر في لغتنا العربيّة واقتباس فوائدها وتقديرها حقّ قدرها فضلًا عن اننا لا نرى الذين تخرّجوا في مدارسنا اقلّ من غيرهم تأليفًا في العربيّة وكفى بهذا دليلًا على بطلان حجّة الهلال ل . ش

الفطحل وردنا من مدينة السلام كتاب للشيخ بعيث الخضري ينتقد فيهِ على جواب للشيخ ابراهيم افندي اليازجي ذكرناهُ بالحرف لفوائده :

سأل احد المستفيدين مجلّة الضياء سؤالًا هذا نصّهُ (٣ : ٣٠٨) : « يستعمل كتّابنا كلمة « فطاحل » بمعنى كبار العلماء . فهل لهذا الاستعمال اصلٌ في اللغة » . فأجاب الضياء « . . . واما استعمال « الفطاحل » بالمعنى الذي ذكرتموهُ فهو من مواضعات العامّة (كذا) ولا شيء منهُ في كتب اللغة » (!) . قلتُ : ليس ذلك من مواضعات العامّة بل هو من مواضعات الفصحاء والبلغاء قد استعملوهُ بهذا المعنى من باب المجاز . لان من معاني الفطحل

« الضخم من الابل » فنقلوهُ الى معنى العظيم او الكبير من العلماء كما نقل العرب القدماء مثل ذلك في كثير من الالفاظ. من ذلك « الكَبش » قال في التاج: « ومن المجاز الكبش: سيد القوم وقائدهم ورئيسهم. وقيل كبش القوم حاميتهم والمنظور اليهِ منهم.. ويُقال: هو كبش الكتيبة اي قائدها. وهم كباش الكتائب » اه

ومن هذا القبيل ايضاً « الرَّعل ». فان معناهُ موضوع في الاصل للحيوان المشهور. ثم نُقل الى معنى الرجل الشريف (عن جمهور اللغويين). ومن هذا الباب « البِشْر ». فانَّ الاصل فيهِ القطّ او الهرّ ثم نقلوهُ الى معنى سيد القوم ورئيسهم (عنهم ايضاً). ومن نوع هذا المجاز ايضاً « الفَحل » فان المعنى الاصلي فيهِ موضوع لفحل الابل ثمَّ نُقل الى معنى الراوي ويُجمع على فُحول ومعناهُ الرُّواة. وكذلك يقولون « فُحول الشعراء » للغالبين بالهجاء مَن هاجاهم (ملخَّص عن التاج والقاموس) ومن هذا الاستعمال المجازي « القِنعاس » فان معناهُ في الاصل معنى الفحل بتمامهِ. قال في التاج: « القنعاس... هو من « الابل » العظيم « الضخم »... والقِنعاس الرجل الشديد المنيع قال جرير:

وابنُ اللَّبون اذا مـا لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْل القناعيس » اه

ومن ذلك ايضاً « القرم » فانهُ في الاصل الفحل ثم نُقـل الى السيد المعظَّم من الرجال (جمهور اللغويين). قلتُ: ولو رجع الشيخ الى كتاب الديك الطيّب وتأمّل ما تولى طبعهُ لرأى في ص ٣٠٠ هذا البيت:

ولكنَّا نُداعب منـك قَرماً تراجعتِ القُروم لهُ يحقاقا

وقد جاء شرحهُ هناك ما ننقلهُ بحرفهِ هنا: « القَرم الفحل من الجمال... والحِقّ... الذي دخل في الرابعة من سنّهِ... اي ولكنَّا قُلنا ذلك مداعبةً لك. وانَّما نحن نداعب منك ملكاً تتصاغر في جنبهِ كبراء الملوك كالحِقاق في جنب الفحول » اه. هذا ولو اردنا ان نستقري هذا النوع من المجاز. لفات الحصر وتعذَّاهُ وجاز. لكن اكتفينا بهذه الاسطر الوجاز. إشارة الى خطإ الشيخ وما في صدرهِ على « فطاحل » الكتبة من الحزاز.

قمر المرّيخ قلنا في مقالتنا عن المرّيخ انهُ ليس لهذا السيّار قمر يلطّف نورهُ في ليلهِ ثمَّ قرأنا بعد ذلك فصلاً مطوَّلاً للاب قرّاري اليسوعي الفلكيّ الشهير اثبتهُ في مجلة التمدن الكاثوليكي (سنة ١٨٧٩ ج ٣ ص ٣٧٩) اوضح فيهِ اكتشاف قمرَين لهذه المتحيّرة. رصدهما العلّامة اصاف هال (H. Hall) لاول مرة في آب

من سنة ١٨٨٧ في مرصد واشنطن فدعا الاول دَيموس (Deimos) اي خوفًا والآخر فوبوس (Phobos) اي رعبًا يدور الابعدُ منها بنحو ٣٠ ساعة و ١٨ دقيقة. والثاني بسبع ساعات و ٣٩ دقيقة غير ان هذين القمرَين صغيران جدًّا لا يُطّلع عليهما الا بالآلات الرصديّة القويّة يبلغ قطر الواحد منهما ١٢ كيلومترًا والآخر عشرة كيلومترات فقط. هذا واذا اعتبرت ان مسافة الابعد عن سطح المرّيخ تبلغ ٢٠١١٦ كيلومترًا والثاني ٦٠٥١ فهمت انّ النور المنعكس عنهما للمرّيخ هو زهيد جدًّا بحيث لا تكاد تتاطّف ظلمة ليلة المريخ كما قلنا ل. ش

لنزّ لحضرة الاب الياس جبارة اليسوعي يُطلب حلُّهُ نظمًا

ما اسمُ ثلاثيّ الحروف جمالهُ ... يسبي عيون الواثق الولهانِ
ربٌّ لهُ تنو قلوب عبيدهِ ... فيديرها بسنانه الفتّانِ
فلذا ترام نصب عرشهِ ركنًا ... يترنّمون بذكرهِ الرنّانِ
ولوصلهِ ما الجور يردع طالبًا ... والكفر يمحي عروة الايمانِ
وقفوا لحدتهِ عزيزَ حياتهم ... كتر النفوس الغاليّ الاثمانِ
فانالهم تأخير رأس حروفهِ ... كأسًا يذيقهم شجى الاحزانِ
يا مابديهِ ألا ارعووا عن غيّكم ... وانفوا شعار الذلّ والطغيانِ
فمتى صدرتم عن حماهُ غداكم ... ذلٌّ يذيل الجيد والاحسانِ
املٌ اتى لنزيهِ مستبشرًا ... مذ حلّ اولهُ محلّ الثاني
نشأ فتىً ثمّ خيرًا برمّتهِ ... لنزيهِ حوى والسرّ فيهِ دانِ
فالبك يا ذا اللب سرّي بحّ بهِ ... فهدتك ريّاهُ جزا الشكرانِ

أسئلة واجوبة

س سأل من موصل حضرة القس قرياقوس محفوظ معنى آية سفر التكوين في النسخة السريانية (٤٩: ٢٢) ضحت عينا حسنا صعدا بعلاه حمروا

شرح آية من سفر التكوين

ج هذه الآية داخلة في نبوّة يعقوب الشهيرة قالها عن يوسف ابنهِ وروايتها في النسخة السريانيّة المروفة بالبسيطة تختلف عن بقيّة النسخ التي مرجع معناها الى « ان يوسف كغصن نما عند عين ماء فزكت فروعهُ حتى انها امتدّت فوق سور استندت اليهِ ». اما معنى الآية في السريانيّة فهذا حرفهُ: « إصعدي ايتها العين فوق بناء متين الذي يعلو سورًا » والفرق بين الروايتين عظيم كما ترى. ولا يبعد انّ النسخة البسيطة محرّفة ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ١١ الى ٢٤ اذار ١٩٠١

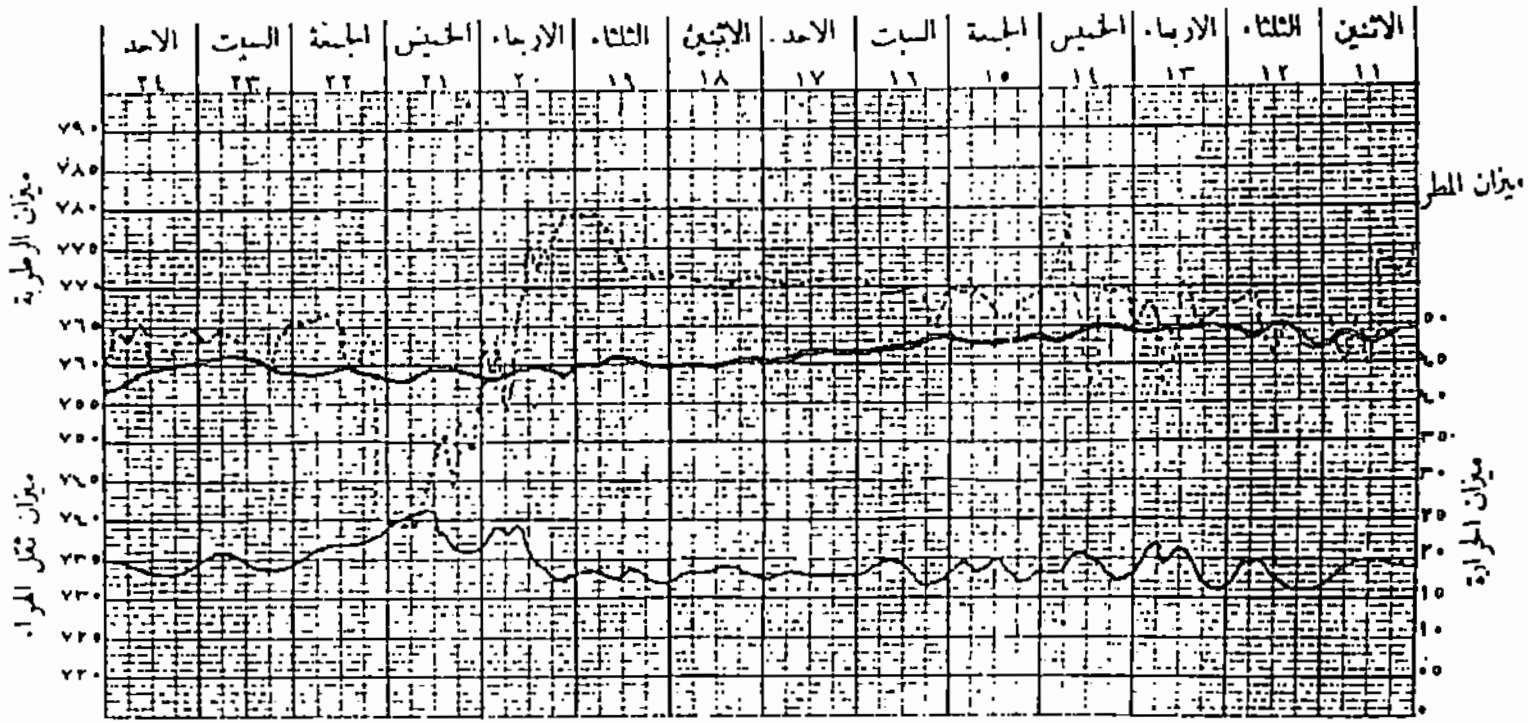

انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالباروميتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّيمترات وعُشر الملّيمترات